



## العدد الثالث

غرّة رمضان / 1424هـ

### الوحدة الحقيقية للأمة.

- 1- اليزيدية.
- 2- الإمام الرضا.
- 3- الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية.
- 4- قالوا.
- 5- من الذي قتل الحكيم.
- 6- ملاحظات على نقاط ضعف السياسة الخارجية الإيرانية في عهد خاتمي.
- 7- الانتفاضة الطلابية في إيران.
- 8- المرجعية الشيعية في إيران والعراق.

- 9- خميني جديد: الحفيد مثل الجد.
- 10- نقد آراء أبطحي حول ولاية الفقيه.
- 11- الطفيلي: ورثة الخميني يقفون إلى جانب سارقي المال العام.
- 12- التجمعات الشيعية في العالم العربي – البحرين.

## الوحدة الحقيقية للأمة

الناظر في أحوال المسلمين اليوم يتفطر قلبه لما يشاهده من مظاهر الضعف والهوان، والهزائم المتكررة التي تحيق بالأمة الإسلامية.

ويكاد يجمع كل المخلصين لهذا الدين العظيم على أن الفرقة والتشتت والانتقام هو سبب رئيسي لما يعانيه المسلمون، ومن هنا أصبح معالجة هذه الفرقة وتقريب الأمة من بعضها البعض علاجاً هاماً ودواءً لا غنى للأمة عنه، وكذلك فإنّ محاربة كل ما يؤدي إلى الفرقة هو عمل هام يصب في مصلحة الإسلام والمسلمين.

ولأجل هذا فنحن نشجع كل المحاولات الجادة لجمع الأمة على كلمة التوحيد، كي تتوحد كلمتها وتعلو رايتهما، لكن ما يدمي القلب أن تقلب الحقائق فيصبح الساعون بكل قوتهم إلى فرقة المسلمين هم أصحاب الصوت العالي في الدعوة إلى الوحدة والتقريب ويكون العاملون المخلصون للوحدة هم الموصوفون بالفرقة والخلاف، وهذا من عجائب الزمان.

ولنضرب أمثلة عملية على ما نقول:

1- إيران صاحبة الدعوة إلى التقريب بين المذاهب السنية والشيعة والتي أنشأت مجمعاً كبيراً لذلك، ولا تزال تصدر الكتب والمجلات لهذا الغرض وتحت المؤسسات الإسلامية العالمية على السعي معها في هذا المجال لفتح القنوات من أجل النفوذ الشيعي في البلاد السنية والسماح بوصول الكتب والمطبوعات الشيعية للأسواق، وفتح المجال للسياسة الدينية وغير ذلك من المطالب.

وقد تكون هذه المطالب عادية في نظر الكثيرين وهي قد تكون كذلك، لكن لننظر إلى الموضوع من زاوية أخرى وهي: هل إيران تمثل النموذج في الوحدة والتقارب مع السنة من أبنائها أولاً ومع غيرهم ثانياً؟  
فأين هو الدور السني في إيران مع أنهم يبلغون قريباً من ثلث السكان؟

وهل يسمح للبلاد والمؤسسات السنية بالدعوة وتوزيع الكتب السنية ومناقشة الأفكار والمفاهيم الشيعية في إيران؟

وهل يسمح للسنة ببناء المساجد والمراكز الخاصة بهم؟

وهل يراعي الشيعة في إيران عقائد وحرمان أهل السنة؟

لماذا لا تكون إيران نموذجاً يحتذى في الانفتاح والتقريب، فتدرس العلوم السنية في جامعاتها على يد السنة من العالم السني؟!

ولماذا لا تفسح إيران المجال لعلماء السنة بمخاطبة جمهورها الشيعي عبر القنوات الإعلامية الرسمية؟

نعم نريد من إيران أن تكون القدوة للآخرين في الوحدة والتقريب والتفاهم حتى تكون أول من يسن سنة حسنة وهي الوحدة والتقارب!!

الراصد

## 2-شيعية الخليج

لا تزال تتصاعد أصوات الشيعة في الخليج بالمطالبة بالسماح لهم بالمشاركة في المؤسسات العامة وعدم مهاجمة عقائدهم وشخصياتهم والسماح لهم بطبع كتبهم وغيرها من أجل ترسيخ الوحدة والتقارب مع السنة.

ولكن غيّر الشيعة في الخليج من موقفهم تجاه عقائد السنة وشخصياتهم، ألم تشتد الهجمة هذه الأيام على عقائد السنة وشخصياتهم.

لماذا لا يجوز للسني أن يقول عقيدته وفكره تجاه الشيعة وبعد هذا ضرباً للوحدة أما الشيعي فله أن يهاجم الصحابة والخلفاء والعلماء والحكام والقرآن ثم هو مظلوم يسعى للوحدة!!؟!

لماذا يحق لهم المطالبة بطبع كتبهم ولا يحق للسنة ذلك؟

ولماذا لهم الحق في عدم مراعاة الأغلبية السنية في البلاد؟؟؟!

## 3-المواقف الشيعية من قضايا الأمة:

إن أهم وصف لوحدة المسلمين هو قوله صلى الله عليه وسلم: (المسلمون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى).

فأين هي المواقف الشيعية من قضايا الأمة؟ في أفغانستان والعراق وغيرها؟

أين الوقوف مع مصالح الأمة تجاه أعدائها؟

لماذا هذا الاصطفاف مع الأعداء رغم "جبال" الخطب والمقالات المليئة بالسب والشتم للأعداء؟ أم أن هذه الحقيقة بعد أن جاء الصيف وذاب الثلج!

وفي الختام لا بد من العمل لوحدة الأمة على كلمة التوحيد بالأفعال والأعمال الصادقة وليس بالشعارات الفارغة.

الراصد

## فرق

### اليزيدية

ظهرت في السنوات القليلة الماضية في عدد من الدول الإسلامية كالمغرب ولبنان والأردن ومصر طوائف من " عبدة الشيطان " معظمهم من الشباب المنحرف الذين يعتقدون بمباديء وأفكار غريبة ويقدمون للشيطان ويلبسون ملابس غريبة، وحاول البعض أن يربط بين أفكار هؤلاء الشباب مع الطائفة أو الديانة اليزيدية التي تنتشر منذ زمن طويل في عدد من البلدان كالعراق وسوريا، خاصة أنهم يشتركون في تقديس الشيطان، وهو أصل من الأصول العقائدية والفكرية للجماعتين.

الديانة أو الطائفة اليزيدية من الطوائف المنتشرة في كردستان العراق وإيران وتركيا وسوريا وجمهورية الاتحاد السوفيتي السابق مثل أرمينيا وجورجيا وأتباعهم من الأكراد المنتشرين في هذه الدول.

وفي البداية كانت اليزيدية طريقة صوفية تعرف بالطريقة العدوية، وكانت طريقة مستقيمة وسليمة من الإنحرافات في عهد مؤسسها الشيخ عدي بن مسافر الأموي (467-557هـ) والذي قدم من قرية يقال لها بيت فار من أعمال بعلبك في لبنان. وكان الشيخ عدي بن مسافر على منهج أهل السنة، وعندما مات خلفه ابن أخيه واسمه صخر بن صخر بن مسافر وبكى بأبي البركات، وكان محباً لأهل الدين شديد التواضع حسن الأخلاق، وبعد موته خلفه ابنه عدي (عدي الثاني) وكان على شاكلة أبيه صخر وعم أبيه (الشيخ عدي الأول).

ويمكن القول أن الطريقة العدوية سارت على منهج سليم طوال فترة تولي هؤلاء الثلاثة مشيخة الطريقة.

ولكن بعد وفاة الشيخ عدي والشيخ صخر والشيخ عدي الثاني بفترة تولي مشيخة الطريقة الشيخ حسن وهو ابن عدي الثاني، وفي عهده تحولت الطريقة إلى حزب سياسي معارض للحكم العباسي، وقد حاول بسط نفوذه على المنطقة ولكن تم القضاء عليه وعلى أنصاره من قبل صاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ، فالشيخ عدي بن مسافر كما هو معروف من الأمويين، وينتهي نسبه إلى مروان آخر الخلفاء الأمويين.

ولما رأى حسن هذا كثرة الأتباع حوله، والذين كانوا دوماً رهن إشارته، ألقى هالة من القداسة حول نفسه، وانعزل عن أتباعه ست سنوات زاعماً أنه سوف يأتي بشيء جديد للملة، فجاء لهم بكتاب " الجلوة لأهل الخلوة " وأحاط أفكاره بسياج من السرية والكتمان، كما أمرهم بالإبتعاد عن التعلم والقراءة والكتابة، كي يسهل انقيادهم له والتحكم في مصائرهم، وبدأت العدوية أو اليزيدية بالإنحراف شيئاً فشيئاً، ومن الذين أثروا على الشيخ حسن وغيروا أفكاره وعقيدته ابن عربي (550-638هـ) أثناء تردد الشيخ حسن إلى الموصل حيث كان يقيم ابن عربي.

إذا فاليزيدية في البدء كانت طريقة صوفية، ثم تحولت إلى حركة سياسية، وأخيراً أصبحت ديانة مستقلة عن الإسلام، حيث يظنون أن يزيد دخل في دينهم.

## سبب التسمية:

وردت في سبب تسميتهم باليزيديين أقوال عديدة أهمها:

1-نسبة إلى الخليفة الأموي يزيد بن معاوية، حيث يظنون أنه دخل في دينهم، وهذا يعني أنهم كانوا مسلمين في يوم من الأيام، إلا أنهم ابتعدوا عن الإسلام شيئاً فشيئاً إلى أن صاروا طائفة مستقلة عن الإسلام.

2-نسبة إلى يزيد بن أنيسة الخارجي، كما ورد في " الملل والنحل " للشهرستاني حيث أن هناك فرقا عديدة سميت باليزيدية مثل أتباع يزيد الجعفي، ويزيد بن أنيسة الخارجي وغيرهما، وقد خلط البعض بين هذه الفرق وبين اليزيدية التي تقدر الشيطان والتي نحن بصد الحديث عنها.

3-نسبة إلى مدينة (يزد) الإيرانية، حيث يعتقد البعض بظهور اليزيدية للمرة الأولى في تلك المدينة.

4-نسبة إلى كلمة (يزدان) أو (إيزدان) التي تعني " الله " في اللغة الكردية، وأن هذه الديانة كانت موجودة قبل مجيء الإسلام واليهودية والمسيحية، وأنها تتبع نبي الله إبراهيم وإسماعيل.

5-هناك من يربط بين اليزيدية والمثرائية، تلك الديانة القديمة التي انتشرت في مناطق من إيران قبل ميلاد المسيح بفترة من الزمن، حيث أنهم قد وجدوا طقوساً مشتركة بينهما.

والراجح في الأدلة أن اليزيديين ينتسبون إلى يزيد بن معاوية، حيث كان عدي بن مسافر يرى أن يزيد من أئمة الهدى والصلاح، وغرس هذا المفهوم في نفوس أصحابه، وقد أدى ذلك إلى محبة هذه الطائفة ليزيد، وكان الغلو والإطراء يزداد يوماً بعد يوم إلى أن وصل ببعضهم إلى ما يشبه تأليه يزيد.

## أماكن إنتشارهم وأعدادهم:

حيث أن اليزيديين من الأكراد، فهم بالتالي مؤرّعون على ست دول هي العراق، سوريا، إيران، تركيا، أرمينيا، وجورجيا بالإضافة إلى هجرة الكثير منهم إلى الدول الأوروبية وغيرها.

وتعيش الغالبية العظمى من اليزيديين في كردستان العراق في منطقتي الشخان وسنجان التابعتين إدارياً لمحافظة نينوى (الموصل).

وقد نشأت هذه الطائفة في أول أمرها في منطقة الشخان ومنها انتشرت في باقي المناطق.

وبالرغم من عدم وجود إحصائيات دقيقة لليزيديين لأسباب عديدة، فإن التخمينات تجعل أعدادهم كما يلي: في العراق 40 ألف نسمة، في سوريا 25 ألفاً، في تركيا 50 ألفاً، في أرمينيا 55 ألفاً، في جورجيا 45-50 ألفاً، وبذلك فإن عددهم في العالم يتجاوز 200 ألف يزيدي.

## أصول الإعتقاد لدى اليزيدية:

يدّعي اليزيديون أنهم على التوحيد الخالص وبأنهم يتبعون أبا الأنبياء إبراهيم ويفتخرون بذلك، إلا أن لهم معتقدات تخالف التوحيد كاعتقادهم بالهة موكل إليها شأن من شؤون الدنيا، ومن ذلك (بري أفات) وهو إله الفيضانات والطوفان و (خاتونا فخران) وهي إلهة الولادة عند النساء... الخ، وكاعتقادهم بوجود أنصاف آلهة مثل (مم شفان) وهو إله الغنم و (العبد الأسود) إله الآبار، و (ميكائيل) إله الشمس... الخ.

وفيما يتعلق بالشیطان الذي ارتبطت به الديانة اليزيدية، فإنهم يقدسونه ويحترمون به، ويعتبرونه رمزاً للتوحيد بزعمهم لرفضه السجود لآدم عليه السلام، ويسمون الشيطان (طاووس ملك) أي طاووس الملائكة.

ولليزيدية سبعة طاووس لكل منها اسمه الخاص، وقد صنعوا لكل طاووس تمثلاً خاصاً، وسبب ذلك هو عدم كفاية طاووس واحد لجميع اليزيدية لأنهم منتشرون في أقاليم متباعدة جداً.

ويعتقدون أن أصل الملائكة من نور الله سبحانه، وأنهم قد شاركوا الله في خلق الكون، وأما الكتب المقدسة لديهم فهناك " مصحف رش " وينسبونه إلى الشيخ عدي بن مسافر ويتحدث عن بداية خلق الكون ومرآجل تكوينه وخلق آدم، وامتناع عزازيل (الشیطان) عن السجود لآدم، كما أنه يحتوي على بعض الأوامر والنواهي وذكر بعض المحرمات.

والكتاب الآخر هو " الجلوة لأصحاب الخلوة " وينسبونه إلى الشيخ حسن، ويعتقد اليزيديون أن الله خاطبهم فيه، ويتكلم عن قدم الله تعالى وبقائه والوعيد لمن يقاوم الله سبحانه، ويوجد كذلك بعض الوصايا الخاصة للطائفة اليزيدية.

أما موقفهم من كتب الأديان الثلاثة، فإنهم يؤمنون بها ويقدمونها ويقرأونها ولكنهم يتجنبون التلفظ بالكلمات التي تأباه عقيدتهم مثل: شيطان، التعوذ، إبليس اللعنة....، وتقدس اليزيدية سوراً وآيات خاصة من القرآن الكريم ويولونها اهتماماً مثل يس والفاتحة والإخلاص وأية الكرسي....

واليزيدية وبالرغم من تقديسهم للكتب السماوية، إلا أنهم يعتقدون أن أصحاب هذه الكتب قد حرّفوها وغيروا فيها أشياء كثيرة، وبعضهم يعتقد أن القرآن الكريم هو من صنع محمد صلى الله عليه وسلم، وأن أحد القساوسة قد كتبه له في بلاد الحجاز !.

ويؤمن اليزيديون بالأنبياء ويدّعون الإنتساب إلى شريعة إبراهيم وأنهم يسيرون على نهجه، ولا يعتقدون أن الله أرسل إليهم رسولاً خاصاً بهم.

وفيما يتعلق باليوم الآخر، فإنهم يؤمنون ببقاء الروح وأنها لا تفنى، بل الذي يفنى هو الجسد فقط، ولا يؤمنون بحصول البعث وإعادة إحياء الجسد.

وحيث أن اليزيدية كانت في البدء طريقة صوفية، فإن العديد من عقائد الصوفية المنحرفة ما زالت باقية عندهم كعقيدة الحلول، ويعتقدون أن روح

الله قد حلت في خواصهم وصالحهم، كما أنهم يقدسون أقطاب التصوف، ولا سيما الذين دافعوا عن إبليس، مثل الحلاج وابن عربي والبسطامي.

## عبادتهم:

لليزيدية عبادات عديدة بعضها يومي وبعضها موسمي، كما أن بعضها يتشابه مع عبادات المسلمين، وليس لهم مكان خاص للعبادة، بل يجوز عندهم التعبد في كل مكان، إذ أنهم يعتقدون أن الله موجود في كل مكان، وعندهم الوضوء والصلاة والأدعية، ويتجهون في صلاتهم إلى الشمس إلا في صلاة الظهر فإنهم يتجهون إلى وادي لالش المقدس عندهم والذي يضم قبر عدي بن مسافر.

وعندهم الصدقات التي يدفعها الغني والفقير على حد سواء، وتعطى للشيخ، ولديهم ثلاثة أنواع من الصوم، أهمها (صوم يزيد) وهو ثلاثة أيام، ويبدأ من يوم الثلاثاء الأول من شهر كانون الأول (ديسمبر) حسب التقويم الشرقي، ويستمر يومي الأربعاء والخميس أيضاً، ويكون يوم الجمعة يوم عيد، وإضافة إلى صوم يزيد، لديهم صوم خضر إلياس ويستغرق ثلاثة أيام وصوم الأربعينية أو الجلخانة، وهو شاق طويل، وبصومه الخاصة.

ويحجون الآن إلى مرقد الشيخ عدي بن مسافر في وادي لالش في كردستان العراق، ويطوفون بقبره 7 مرات، واتخذ يزيديو كل منطقة فترة معينة لأداء الحج فيه.

ولليزيدية عدد كبير من الأعياد، أخذوا اثنين منها عن المسلمين، وأخذوا أعياداً أخرى من بعض الأديان والطوائف الأخرى، وبعضها من ابتكارهم هم أنفسهم، ومنها عيد رأس السنة الشرقية وعيد صوم يزيد وعيد الجماعة وعيد المربعانية، والقربان وخضر إلياس.

## مجتمع اليزيديين:

مجتمع اليزيديين مبني على النظام الطبقي، ويتكون من طبقتين سياسية ودينية.

أولاً: الطبقة السياسية:

وتتمثل في " الأمير " وهو صاحب أعلى سلطة في الطائفة، و " البسمير " وهم أبناء عمومة الأمير، ثم " العوام " وهم من سواد الشعب، ويقع عليهم تنفيذ ما يُملى عليهم من أوامر وواجبات من قبل الأمير وحاشيته.

والأمير الحالي لليزيدية هو الأمير تحسين بك ابن سعيد بك ابن علي بك.

ثانياً: الطبقة الدينية:

وعلى رأسها " البابا شيخ " ومنها الشيخ والبير والقوال والفقير والكوجك والمريد.

## من مؤسساتهم:



أنشأ اليزيديون في عدد من البلدان عدة مؤسسات ثقافية واجتماعية منها:

1-مركز لالش الثقافي الاجتماعي في مدينة دهوك (العراق) وتأسس سنة 1993 م.

2-المكتب الأموي للدعوة العربية في شارع الرشيد في بغداد.  
3-المركز الديني لليزيدية الزرادشتية في بون (ألمانيا), وقد تأسس بعد الهجرة المتزايدة لليزيديين إلى أوروبا وخاصة من تركيا.

### للإستزادة:

1-اليزيدية من خلال نصوصها " المقدسة " - آزاد سعيد سمو.  
2-اليزيديون: واقعهم, تاريخهم, معتقداتهم - د.محمد التونجي.  
3-الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة - الندوة العالمية

للشباب الإسلامي.

الراصد

الراصد

**سطور من الذاكرة**  
**الإمام الرّضّي وليّاً للعهد**  
**201 هـ**

دأب الشيعة على تصوير أنفسهم ضحايا للحكم السني ودول الخلافة التي نشأت هنا وهناك، وكانوا دائماً يدّعون أنهم مضطهدون ومهمّشون من قبل جميع الدول السنيّة التي حكمت، لكننا اليوم وفي هذه السطور أمام حدث تاريخي هام، يفنّد بعضاً من ادعاءاتهم ويلقي الضوء على جانب مهم من سيرة أئمة آل البيت، وتدحض الشبهات التي كان ينسجها الشيعة، والافتراءات التي كانوا يلصقونها بالأئمة، والأئمة منها براء.

في سنة 201هـ، عين الخليفة العباسي المأمون الإمام علي بن موسى (الرضي) وليّاً للعهد، ونقل ولاية العهد من البيت العباسي الذي ينتمي إليه إلى بيت آخر وإلى واحد من أبناء الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ولد الإمام علي الرّضي بالمدينة سنة 148هـ<sup>(1)</sup> واشتهر بالعلم والورع، ولم يكن له اشتغال بالسياسة، وهو عند الشيعة الإثني عشرية الإمام الثامن، وفي عام 201هـ، خلع الخليفة العباسي المأمون أخاه المؤتمن، وعيّن الإمام الرّضي ولياً للعهد، واختلفت الآراء حول هدف خطوة المأمون هذه، فالإمام السيوطي يقول أن المأمون كان معروفاً بالتشيع، وهذا هو ما حمّله على تولية الرّضي، ومنهم من يجعل السبب المعتزلة الذين كان المأمون محاطاً بهم، ومنهم من يجعل السبب انتصار النزعة الفارسية على النفوذ العربي، وآخرون يرون تأثير وزير المأمون الفضل بن سهل، كما أن آخرين رأوا في هذه الخطوة مناورة سياسية رغب المأمون من خلالها إلى كشف بعض شخصيات آل البيت، وإظهار عزوفها عن الخوض في غمار السياسة ومعتك الحياة، كما رغب في إظهارهم إلى العلن بدلاً من عملهم في السر.

وأباً كان هدف المأمون من هذه البيعة التي استمرت عامين وانتهت بموت الإمام الرضي رحمه الله سنة 203هـ إلا أننا نجد أنفسنا مضطربين للوقوف أمامها كثيراً كونها تلامس أصلاً من أصول الشيعة وهو "الإمامة".

فأهل السنة لم يكونوا يكرهون آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، بل كانوا يحبونهم ويوقرونهم ويثنون عليهم، ولذلك لم يعترض على توليته أحد من علماء السنة ولم يعمل أحد على عزله وإبعاده، ولولا قدر الله بوفاء الرّضي قبل المأمون لاستلم الخلافة رجل من آل البيت ولبايعه المسلمون من أهل السنة وهذا يدحض مزاعم الشيعة أن الأئمة من آل البيت كانوا على مذهبهم في التشيع!، كما أن جلّ آل البيت لم يكونوا منعزلين رافضين للحكم والخلافة ولم يكونوا يعتقدون "بالإمامة الإلهية" التي جعلها الشيعة الإثني عشرية أصلاً من أصولهم، وكفّروا من لم يؤمن بها، وهي أن الإمام منصوب عليه من الله، وبشكل تولي الرّضي هذا المنصب في سلطة المأمون إقراراً بشرعية هذا الحكم، وبطلان "الإمامة الإلهية".

يقول الباحث الشيعي أحمد الكاتب في كتابه (تطور الفكر السياسي الشيعي) ص 87: "ومهما اختلف المؤرخون في تحليل موقف المأمون، فإن مبايعة الإمام الرّضي له وقبوله بولاية العهد يكشفان عن موقف أيديولوجي ظاهر بشرعية خلافة المأمون وواقعية إمامة الرّضي بعيداً عن نظرية (الإمامة الإلهية) الخاصة في أولاد علي والحسين، وقد أصبح التحالف بين البيتين الهاشميين: العباسي والعلوي، سمة المرحلة التالية، وعقيدة دولة الخلافة العباسية الرسمية لبضعة عقود، وقد تمثلت بعد المأمون في موقف الخلفاء العباسيين الإيجابي من أبناء الرّضي كمحمد الجواد وعلي الهادي والحسن العسكري، حيث كان الخلفاء يتخذون منهم رموزاً للشرعية الدستورية، ويقدمون لهم كامل الإحترام والتقدير.

لا ننكر أن إقصاء أحد أبناء آل العباس، وتعيين الإمام الرّضي محله، لا بد أن يثير امتعاض البعض الذين فقدوا سلطتهم، مما أدّى إلى تنصيب خليفة بدلاً آخر من المأمون، لكن الوضع سرعان ما عاد إلى طبيعته، وعاد المأمون إلى بغداد خليفة للمسلمين.

<sup>01</sup> وقيل سنة 151هـ أو سنة 153هـ.

## للاستزادة:

- 1- تاريخ الخلفاء - الإمام السيوطي - ص 307.
- 2- المدخل إلى تاريخ آل البيت - فاروق عمر فوزي - ص 136.
- 3- تطور الفكر السياسي الشيعي - احمد الكاتب - ص 86.
- 4- شذرات الذهب - أبو الفلاح الحلبي / الجزء الثاني - ص 6+2.

الراصد

## الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية

تأليف: د. محمد عبد الله

كتاب الشهر

عنان.

الدولة الفاطمية التي حكمت مصر حيناً من الزمن (358هـ-567هـ) جديرة بالدراسة بسبب ما أحيطت به من غموض، وما يحق بأصولها وإمامتها من الريب، ويعتبر عصر الحاكم بأمر الله الفاطمي أعرب فترة في هذه الدولة وأعجبها، وهذا ما شجّع المؤلف الدكتور محمد عبد الله عنان للبحث في هذه الدولة التي نسبت نفسها إلى فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم وسميت بـ (الفاطمية) في حين أنها تبنت عقائد الإسماعيلية الباطنية.

في الفصل الأول يبين د. عنان الأهمية التي كانت تتميز بها مصر من بين الولايات التي كانت تتبع الخلافة سواءً الراشدة أو الأموية أو العباسية، بسبب موقعها الجغرافي وثرواتها الطبيعية، وأهميتها العمرانية، وهذا ما جعلها مطمع الزعماء المتغلبين. ولما اضمحل سلطان الدولة العباسية، وضعفت قبضتها في النواحي، غدت مصر طعمة لطائفة من الحكام الأقوياء يحكمونها باسم الخلافة ولكن ينشئون بها دولاً مستقلة، كما ظهر ذلك من خلال قيام الدولة الطولونية، ثم الدولة الأخشيدية.

### احتلال الفاطميين لمصر:

ولم تكن المقومات والميزات التي تتمتع بها مصر والتي جعلها صالحة لتكون مركز دولة مستقلة، خافية على الفاطميين الذين كانوا يحكمون أجزاء في الشمال الأفريقي، ويطبقون فيها دولتهم التي أقاموها على أنقاض ملك الأغالبة، ومن ثم اتجهت أنظارهم إلى مصر.

وكانت للفاطميين في عهد حاكمها الأول عبيد الله المهدي ثم القائم بأمر الله محاولات عديدة لاحتلال مصر لكنها باءت بالفشل في أول الأمر، وكانت الدولة الأخشيدية الفتية تحكم مصر آنذاك، ولما ضعفت الدولة الأخشيدية، وساءت الأحوال بمصر، كانت الفرصة سانحة للفاطميين، فدخلوا مصر سنة 358هـ، وفي الحال أمر القائد الفاطمي جوهر الصقلي الذي احتل مصر بقطع الدعاء للخليفة العباسي، وبدأت الدعوة (للخليفة) الفاطمي، وأمر بتغيير الأذان وإضافة حي على خير العمل.

ولم تكن مصر للفاطميين غنماً سياسياً فقط، ولكنها غدت أيضاً معقلاً للدعوة الشيعية، وقد كان الفاطميون الذين يدعون نسبتهم إلى فاطمة الزهراء يختصون إمامتهم بالصفة الشرعية، ويعتبرون الدولة العباسية على هذا النحو غاصبة للإمامة والخلافة، ويتخذون من هذه الدعوى دعامة لإمامتهم الدينية وملكهم السياسي، فهم طبقاً لدعواهم أبناء فاطمة، وهم ورثة علي وبنيه، وهم الشرعيون في إمامة المسلمين ورياسة العالم الإسلامي.

الراصد

وحيث أن الفاطميين هم من الشيعة الإسماعيليين، فقد كان عليهم أن ينسبوا أنفسهم إلى آل البيت طبقاً لنظرية الإمامة المعتمدة لدى الشيعة، التي تقول لا يجوز أن يحكم من ليس من آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم. وقبل الدخول في التفاصيل المتعلقة بالدولة الفاطمية وبعصر الحاكم بأمر الله فقد رأى المؤلف أن يتناول هذه المسألة الخطيرة (الإمامة) ويناقش مسألة انتساب الخلفاء أو الحكام الفاطميين إلى آل البيت، وهي التي تعتبر دعامة إمامتهم الدينية ورياستهم السياسية.

### الإمامة:

وفيما يتعلق بنظرية الإمامة الشيعية يقول د. عنان أن فقهاء الشيعة ودعاتها منذ عصر مبكر حاولوا أن يخلقوا جواً قدسياً حول الإمامة، ومن هؤلاء فقيه الدولة الفاطمية الأول، وصديق المعز لدين الله وداعيه الأكبر القاضي أبو حنيفة النعمان القيرواني في كتابيه (دعائم الإسلام) و (الهمة في آداب اتباع الأئمة) وادّعى فيهما أن الولاية أو الإمامة خصت بعلي وبأبنائه من آل البيت، وأنه يجب التسليم لهم في جميع الأمور، وذكر فيهما الحث على تعظيمهم، وأن السجود لهم ليس بمنكر.

وعلى منوال القيرواني سار العديد من فقهاء الدولة الفاطمية الشيعية كالداعي حميد الدين الكرمانى في كتابه (راحة العقل) وكالداعي ثقة الإمام في (المجالس المستنصرية).

وللشيعة على اختلاف فرقهم كتب عديدة أخرى في مسألة الإمامة، والولاية على أهميتها، واعتبارها أساساً من أسس العقيدة الدينية، وانحصارها في علي وبنيه من آل البيت، ويبدو منها جميعاً أن الإمامة هي دعامة الدعوة الشيعية كلها ودعامة دعاويهم في الرياسة الدينية والزمنية.

وقد قامت الدولة الفاطمية متسمة بسمة الإمامة قبل كل شيء، وكان المعز لما قدم مصر سنة 362هـ يحرص أشد ما يحرص عليه الإمامة، وكان الحكام الفاطميون يوسمون في الدعاء على المنابر بما يقرب من النبوة، بل إن الإمامة لتقرن في بعض المصادر الإسماعيلية بمرتبة النبوة ذاتها.

ودأب فقهاء الفاطمية على أن ينسبوا إلى خلفائهم المعجزات والكرامات، ومن ذلك ما رواه الداعي عماد الدين إدريس في كتابه (زهر المعاني) واصفاً المهدي " بأنه ولي الأمر صاحب المعجزات ومبين الآيات، المهدي بالله صلوات الله عليه الذي طلع من الغرب وقام قيام النبي صلى الله عليه وسلم مهلكاً لمن ناصبه الحرب... " وما رواه في (عيون الأخبار) عن الحاكم: " وظهرت لأمير المؤمنين الحاكم بأمر الله عليه السلام فضائل لم يسمع بمثله، ودلائل ظاهر بيان فضلها ومعجزات بهرت الألباب، وآيات لا يشك فيها إلا أهل الزيف والارتباب ".

### نسب الخلفاء الفاطميين:

بعد بيان مسألة الإمامة لدى الشيعة والفاطميين، استعرض المؤلف الأقوال المختلفة في حقيقة نسب الخلفاء الفاطميين، وهذا الأمر أساسي وجوهري، تبنى عليه أحكام أخرى تتعلق بشرعية حكم الفاطميين وفقاً لمنظورهم هم، فإذا كانوا لا ينتسبون لآل البيت فهم -وفقاً لمبادئهم- غاصبون غير جديرين بالحكم.

ويتساءل المؤلف في بداية هذا الفصل عن أولئك الفاطميين، وهل يرجع أصلهم حقاً إلى علي وفاطمة؟ وهو لا ينكر أن هذه المسألة يحيط بها الخفاء والغموض، وموضع خلاف وجدل، ففريق من المؤرخين يؤيد الفاطميين في دعواهم وفي شرعية إمامهم، ويرجع نسبة إمامهم، ومؤسس دولتهم عبيد الله المهدي إلى الحسين بن علي وفاطمة بنت الرسول، وهذا الفريق هو القلة، ولكن فريقاً آخر ينكر عليهم هذه الدعوى، ويرى أنهم أدعياء لا يمدون بصلة إلى علي وهذا الفريق هو الأغلبية. وهذا الفريق من العلماء والمؤرخين يرجع نسبة الفاطميين إلى عبيد الله بن ميمون القدّاح بن ديسان البوني، وكان ابن ميمون هذا يرجع إلى أصل مجوسي من الأهواز، وكان يدعو سراً إلى مذهب فلسفي إلهي لإنكار الأديان والنبوة، صاغه في تسع مراتب سرية، تنتهي بإنكار جميع العقائد والشرائع، ومن دعوته هذه صنعت دعوة القرامطة، وبعثت ثورتهم الإباحية المرّوعة، وكان يتستر بالتشيع.

وممن قال بهذا الرأي وهو أن هؤلاء الفاطميين يرجعون إلى عبيد الله بن ميمون القدّاح، القاضي أبو بكر الباقلاني، وأبو حامد الأسفرايني وأبو الحسين القدوري، والأبيوردي، وعبد القاهر البغدادي وابن شداد وابن خلكان والنويري وابن حجر العسقلاني وابن حزم الأندلسي، وقد فصل المؤلف في فصل خاص قوة هذا الرأي (انظر صفحة 7 من موضوعنا هذا). وفي الفصل الرابع من الكتاب يذكر المؤلف المعارك المتتالية بين الفاطميين الذين احتلوا مصر للتو وبين القرامطة بقيادة الحسن الأعصم الذين بطمحوون للسيطرة على مصر، وكيف أن المعز الفاطمي بعث بكتاب إلى الأعصم ذكره فيه بمكانته ومكانة بيته، وأن دعوة القرامطة نشأت في الأصل عنهم، وأن الدعوة واحدة، وبعثته على إنشاقه، وينصح بالعودة إلى رشده، وينذره بسوء المصير.

### عصر الحاكم بأمر الله:

وفي الفصل الخامس اختار د. عنان أن يتحدث بالتفصيل عن عهد أحد الحكام الفاطميين والذي جاء بعد المعز والعزیز، ألا وهو الحاكم بأمر الله، وعن اختياره لشخصية الحاكم يقول المؤلف: "... وإذا كان للعصر الفاطمي سحره الخاص، فإن عصر الحاكم بأمر الله هو بلا ريب أغرب مراحل وأعجبها، وقد غاض بها العصر الفاطمي في تلك الفترة نوعاً، ولكن ما تمتاز به تلك الفترة من الأحداث العجيبة، والنوادر الشائقة وما يمازجها من الخفاء والغموض، وما تمتاز به شخصية الحاكم من الأطوار والخواص المدهشة، والنزعات والأهواء المرّوعة، والنواحي الفلسفية والإنسانية أحياناً...". ولي الحاكم بأمر الله (ابن العزیز) الخلافة حدثاً دون الثانية عشرة، وكانت أمه جارية روميّة نصرانية، وكان لها أيام العزیز نفوذ كبير في الدولة، وكان لهذا النفوذ أثره بلا ريب في سياسة التسامح الواضح التي اتبعها العزیز تجاه النصارى، وفي تقوية جانبهم ونفوذهم. وتنقل المصادر التاريخية لنا أن الحاكم كان سيء الاعتقاد، كثير التنقل من حال إلى حال، وكان مؤاخذاً بيسير الذنب، حاداً، لا يملك نفسه عن الغضب، فأفنى أمماً وأجيالاً، وأقام هبة عظيمة وناموساً.

الراصد

وكان رديء السيرة، فاسد العقيدة مضطرباً في جميع أموره، يأمر بالشيء ويبالغ فيه ثم يرجع عنه فيبالغ في نقضه. وكانت خلافته متضادة بين شجاعة وإقدام وجبن وإحجام، ومحبة للعلم وانتقام من العلماء، وميل إلى الصلاح وقتل الصالحاء.

افتتح عهد حكمه بقتل وصيّه ومدبر دولته برجوان، ثم أمين الدولة السابق الحسن بن عمار وكان يسرف في القتل، فيقتل وزراءه وعلمانه تباعاً، دون حكمة ظاهرة إلا ما كان من نزعة مؤقتة أو سخط فجائي. وشغف الحاكم بالطواف بمدينة القاهرة وضواحيها، طوال حياته، وكان يصدر الأوامر المدهشة، ففي محرم سنة 395هـ، أصدر سجلاً يمنع الناس من أكل الملوخية والترمس والجرجير، وحرم ذبح الأبقار السليمة إلا في يوم النحر، وحرم صيد السمك الذي لا قشر له، وكذلك بيعه، وحرم دخول الحمام بلا مئزر وحرم على الناس أن يخرجوا من منازلهم إلى الطرقات من الغروب إلى الفجر، وحرم بيع الزبيب، وأمر ألا يجتمع الناس في الصحراء، ومنع الاجتماع على شاطئ النيل للتفرج، وركوب النساء مع الرجال، وحرم لعب الشطرنج.

وأصدر الحاكم أوامره بهدم كنائس النصارى، وطارد أتباعها، ثم أعطاهم الأمان وأعطاهم الحرية في إقامة شعائرهم وإعادة بناء كنائسهم. ولم تقتصر سياسة الحاكم الدينية على هذه الناحية من اضطهاد النصارى واليهود، ولكنها كانت تتناول الناحية الإسلامية أيضاً بكثير من الأحكام والأوامر الشاذة، وقد كان الفاطميون يحكمون في مصر شعباً لا يتبعهم من الوجهة المذهبية فأهل مصر هم على مذهب أهل السنة بينما الفاطميون شيعة إسماعيلية، وكان العمل على تدعيم هذه الصبغة المذهبية أهم عناصر سياستها الدينية، وقد حذا الحاكم حذو أبيه العزيز وجده المعز، وعمل لبث الدعوة الفاطمية في قوة وجرأة، ففي سنة 395هـ، أمر بسب السلف (أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة ومعاوية وغيرهم من الصحابة) وكتب ذلك على أبواب الجوامع والمساجد، ولا سيما جامع عمرو وعلى أبواب الحوانيت والمقابر والدور وأرغم الناس على المجاهرة به ونقشه في سائر الأماكن، وكان يصدر الأوامر الغريبة، ففي رجب سنة 394هـ، منع الناس من صلاة الضحى والتراويح، وقبض بالفعل على أناس وضربوا وشهروا، وفي المحرم سنة 395هـ، قرىء سجل بأن يؤذن لصلاة الظهر في الساعة السابعة، ويؤذن لصلاة العصر في الساعة التاسعة، لكنه عاد وأباح صلاة الضحى وصلاة التراويح في رمضان سنة 398هـ أو سنة 399هـ، لكن في أواسط سنة 401هـ، صدر سجل جديد بترك " الصلاة خير من النوم " من أذان الفجر، وأن يؤذن بـ " حي على خير العمل " وأن تمنع صلاة الضحى والتراويح.

وجاء في بعض الروايات أن الحاكم حاول أن يعدل بعض الأحكام الجوهرية كالصلاة والصوم والحج، ولقد كان الحاكم في أواخر عصره يذهب إلى أبعد مدى من الغلو والانحراف، فيؤيد الدعوة السرية إلى فسخ أحكام الإسلام، وإلى الدعوة بالوهيته وقيامه.

### الدعوة السرية الفاطمية:

الراصد



تعتبر الدعوة السرية الفاطمية من أخطر نواحي عصر الحاكم، وأخطر نواحي العصر الفاطمي كله، فقد قامت الدولة الفاطمية على أسس الدعوة الشيعية في ظروف غامضة، واتشح الخلفاء الفاطميون بثوب الإمامة الدينية، وردّوا بنسبتهم إلى علي بن أبي طالب، وفاطمة ابنة النبي صلى الله عليه وسلم، وميساق إمامتهم إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، ومن ثم كانت تسميتهم أيضاً بالإسماعيلية.

وكان الخلفاء الفاطميون يحرصون كل الحرص على صفة الإمامة وعلى توطيدها ونشر لوائها بمختلف الوسائل، إذ هي شعارهم الأسمى، وعماد سلطانهم الروحي، ومعقد مطامعهم السياسية، وقد استطاع الفاطميون أن يجنوا ثمار كفاحهم، فبسطت الدولة ظلها بعد شمال أفريقيا على مصر والشام والحرمين، وكان هذا الانضواء تحت لواء الخلافة الفاطمية يتخذ قبل كل شيء لون الظفر السياسي، بيد أنها كانت تحرص على أن تحقق ظفرها المعنوي إلى جانب ظفرها المادي، وأن تغزو عقائد المجتمعات التي يدفعها أو تحملها السياسة على الانضواء تحت لوائها ومن ثم كان نشاط الفاطميين في بث دعوتهم المذهبية، وفي العمل على توطيد دعائمها.

ولما استقر الفاطميون بمصر، شعروا بالحاجة إلى مضاعفة جهودهم لنشر مذهبهم الإسماعيلي الباطني وذلك أنها لم تجد في مصر مهذاً خصباً لدعوتها، فكان عليها أن تتوسل لغزوها بكافة السبل، واعتمدت على الدعاية السرية وغزو الأذهان بطريقة منظمة، وكان لهم دعاة في سائر الأقطار. وليس أدل على ما كانت ترتبه الفاطمية من عظيم الأهمية على بث دعوتها المذهبية، واتخاذها وسيلة نافذة لحشد المؤمنين والكافة تحت لوائها مما ورد في كتاب المعز الفاطمي إلى الحسن الأعصم أو الأعظم زعيم القرامطة من تلك العبارة القوية التي يشير فيها المعز إلى عناية الدولة الفاطمية ببث دعوتها في مختلف الأقطار: "فما من جزيرة في الأرض ولا إقليم إلا ولنا فيه حجيح ودعاة يدعون إلينا، ويدلون علينا، ويأخذون تبعتنا، ويذكرون رجعتنا، وينشرون علمنا وينذرون بأسنا، ويبشرون بأيامنا...". وعين لهذا الغرض عالم كبير عندهم كان يطلق عليه (داعي الدعاة).

### مراتب الدعوة

نستطيع القول أن الدولة الفاطمية كان لها دعوة مذهبية خاصة، وقد أولتها الدولة عناية فائقة، ومن الطبيعي أن تكون مادتها الأولى ما تقوم عليه الدعوة الشيعية الفاطمية من الأصول والمبادئ وكانت الدعوة تجري على نسق الجمعيات السرية، في مراتب متدرجة من الأهمية والخطورة، ومراتبها تسع، يعرضها الدعاة بالتعاقب، طبقاً لاستعداد التلاميذ وأهليتهم لتلقيها، فلا يصل إلى مراتبها العليا إلا من كان موضع الثقة والإفضاء، حريصاً على السر، وفيما يلي ملخصاً لهذه الدعوات التسع:

**الأولى:** يسأل الداعي المدعو عن بعض المسائل الدينية والشرعية، فإذا كان عارفاً بما سُئل أقرّه الداعي، وإلا فإنه يعرضها عليه للبحث والتأمل، ثم يلقيه أن الدين أمر مكتوم يجهله السواد والكافة، وأن انصراف الناس عن أئمتهم هو أصل الشر والخلاف.

**الثانية:** إذا وثق الداعي بالمدعو وأنس فيه قبولاً، ووثق بحرصه وكرمانه، عندئذ يلقيه أن الله لا يقبل أن يأخذ الناس الدين والشريعة إلا عن طريق أئمة نصبهم الناس.

**الثالثة:** يلقيه أن الأئمة سبعة رتبهم الله كما رتب السماوات والأراضين، وأن السابع هو القائم صاحب الزمان وهو محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، ويلقى إليه أن عند الإمام علم المستور وبواطن الأمور.

**الرابعة:** يلقي الداعي المدعو أن الأنبياء المعتمدين الناسخين للشرائع سبعة كعدد الأئمة، وكل منهم لا بد له من صاحب يأخذ عنه دعوته، ويحفظها على أمته، ويكون له ظهيراً في حياته ثم يخلفه بعد وفاته.

**الخامسة:** أنه لا بد مع كل إمام في كل عصر حجج متفرقون في الأرض، وعددهم إثنا عشر رجلاً في كل زمان.

**السادسة:** يحدثه عن شرائع الإسلام وفرائضه كالصلاة والصيام والزكاة، وأن لها معان باطنة غير ظاهرة، وأنها وضعت على سبيل الرموز لمصلحة عامة. وينتقل به إلى ميدان الفلسفة ونظريات الفلاسفة مثل أفلاطون وأرسطو، ويعلمه أن منطق العقل هو المعول عليه في الأمور، لا الأخبار والأشياء المنقولة.

**السابعة:** أن صاحب الشريعة لا يستغني بنفسه، وأنه لا بد من صاحب معه يعبر عنه ليكون أحدهما الأصل، والآخر يصدر عنه، وهذا إنما هو إشارة العالم السفلي لما يحويه العالم العلوي.

**الثامنة:** أن مدبر الوجود والصادر عنه، إنما هو تقدم السابق على اللاحق، والسابق عندهم (الله عز وجل) لا اسم له ولا صفة، ولا يعبر عنه ولا يحدد، فلا يقال هو موجود ولا معدوم، ولا عالم ولا جاهل.

**التاسعة:** الانتقال إلى ميدان العلوم الفلسفية والطبيعية، وما بعد الطبيعة، وأن ما ذكر من الحدوث والأصول، إنما هي رموز إلى معاني المباديء وتقلب الجواهر، وأن الوحي إنما هو صفاء النفس، فيجد النبي في فهمه ما يلقي إليه ويتنزل عليه، فيبرزه إلى الناس، ويعبر عنه بكلام الله، الذي ينظم به النبي شريعته حسماً يرى من المصلحة في سياسة الكافة، ولا يجب العمل بهذه الشريعة إلا بحسب الحاجة في رعاية مصالح الدهماء، وليس على العارف المستتير أن يعمل بها.

وفي تعليقه على عناصر الدعوة المذهبية الفاطمية، ومراتبها السرية يقول د. عنان: "إننا نجد أنفسنا أمام دعوة فلسفية حرة، ترمي إلى هدم العقيدة الدينية العادية"، ويقول في موضع آخر من كتابه: "من المسلم به إذاً أن الدعوة الفاطمية، كانت لها ناحية سرية، يُضنُّ بها على الكافة، ولا يُفرض بها إلا إلى الصفوة من الناس، وأن هذه الدعوة السرية كانت تتضمن مبادئ فلسفية إحادية".

## نشأة الدعوة وتطوراتها

وفي فصل خاص من الكتاب، يتحدث المؤلف عن أصل الدعوة السرية الفاطمية التي نشأت ونظمت مبادئها على يد جماعة من الثوريين الملاحدة بزعامة أبي شاذان ميمون بن ديصان البوني المعروف بالقداح. وكان ميمون القداح هذا داعية ملحداً تفرقه في دروس الأساطير الدينية، والبحوث الكلامية والجدل الفلسفي، ومتمامراً وافر الإقدام والجرأة، وكان فارسياً مجوسياً من سبي الأهواز، ثم تظاهر بالإسلام والتشيع.

وقد بدأ ميمون حياته مولى لجعفر بن محمد الصادق، وسُجن في عهد المنصور، وفي السجن وضع ميمون وأصحابه دعوتهم، ولمّا خرج من السجن، انضم إليه كثير من غلاة الرافضة والحلولية وادّعى أنه من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وانتشرت دعوته في جنوب فارس وفي جنوب العراق والبحرين، وانبث دعواته في كل مكان يتسترون ظاهراً بالتشيع، ويعملون في الخفاء ليث مبادئهم الإلحادية، وكانوا يتوسلون للتأثير في الناس بأعمال التنجيم والسيماء، وبعض التجارب الكيميائية التي كانوا يتقنونها.

وحمل الدعوة بعد ميمون ولده عبد الله، وكان مثل أبيه براعة وتبحراً في المباحث الفقهية والكلامية والنظريات الفلسفية، وكان يدعو لإمامة آل البيت الذين كان يزعم الانتساب إليهم، وكان يدّعي العلم بالغيب والأسرار الروحية والعلوم الخفية.

وكانت هذه الدعوة الإلحادية ترمي إلى نشر المجوسية بالتأويلات التي يتأول بها دعواتهم على القرآن والسنة، ويستدلون بذلك على أن إمامهم وزعيمهم الأول، ميمون بن ديصان كان مجوسياً، ويستدلون أيضاً بما قاله البرذهي، وهو من زعمائهم في بعض رسائله: " إن المبدع الأول أبدع النفس، ثم إن الأول والثاني دبرا العالم بتدبير الكواكب السبعة والطبائع الأربع، وهذا ما يطابق قول المجوس أن اليزدان خلق أهرمن، وأنه مع أهرمن مدبران للعالم، غير أن اليزدان فاعل الخيرات، وأهرمن فاعل الشرور.

ولم يبحث ابن ميمون عن أنصاره الحقيقيين بين الشيعة الخُص، ولكن بين الوثنية والوثنيين وطلاب الفلسفة اليونانية، وإليهم وحدهم استطاع أن يفضي بسرّه وعقيدته وهو أن الأئمة والأديان والأخلاق ليست إلا ضلالاً وسخرية.

وهكذا حمل عبد الله دعوة أبيه، ونظمها ببراعة مدهشة، واتخذ بلدة ساباط، جنوب الفرات، مركزاً لدعوته، ولمّا شعرت السلطات العباسية بخطورة هذه الحركة، نشطت إلى إخمادها، وفرّ عبد الله أولاً إلى البصرة، ومعه الحسين الأهوازي من أقطاب شيعته، فلما جدّت السلطات في مطاردته فرّ الحسين إلى الشام، ونزل ببلدة "سلمية" من أعمال حمص، واتخذها مركزاً للدعوة.

وحمل الدعوة من بعده ولده أحمد، وسير الحسين إلى العراق، وهناك استطاع أن يمهد لإضرام الشرارة الأولى في تلك الثورة الملحدة، ونعني ثورة القرامطة التي ابتدأت في جنوب العراق سنة 280هـ، على يد الفرج

بن عثمان الفاشاني المعروف بذكره، وحمدان بن الأشعث المعروف بقرمط، وهو الذي تنسب إليه القرامطة، وكانت الدعوة قد اجتاحت جنوب فارس كله، وانسابت إلى البحرين والإحساء، وعاش القرامطة حيناً في جنوب العراق وغزوا الشام غير مرة، واستقرت دولتهم بعد ذلك في البحرين في أواخر القرن الثالث الهجري، وعصفت مبادئهم الإلحادية الإباحية بالعالم الإسلامي.

وخلف أحمد بن عبد الله بن ميمون في حمل الدعوة الباطنية ابنه الحسين ثم أخوه محمد المعروف بابي الشلعلع، وكانت الدعوة قد ثبتت واستقرت، وقويت شوكة أئمتها ودعاتها، وكثرت أموالهم ورسولهم، وبعث محمد بدعائه إلى المغرب وعلى رأسهم أبو عبد الله الحسين بن أحمد المعروف بالشيوعي، فنشر الدعوة هناك، وأخذ يبشر بظهور المهدي المنتظر، ثم قام بالدعوة سعيد بن الحسين، ويقول بعض المنكرين لنسب الفاطميين أن سعيداً هذا ليس ولد الحسين، وإنما هو ولد زوجته اليهودية، ربّاه ولقنه أسرار الدعوة، واختاره للزعامة والإمامة من بعده.

وسعيد هذا هو الذي فرّ إلى المغرب، حينما همت السلطات بالقبض عليه وإخماد دعوته، ففرّ إلى مصر ومنها إلى إفريقيا، وهناك زعم أنه من ولد إسماعيل بن جعفر الصادق، أو بالأحرى من ولد علي وفاطمة، وتسمى بعبيد الله المهدي أبي محمد، وزعم أنه المهدي المنتظر، وكان أبو عبد الله الشيعي قد مهّد له سبيل الدعوة، واجتذب إليه عدداً من القبائل البربرية القويّة، فاستطاع عبيد الله بعد خطوط وأحداث جمّة أن يجتني لنفسه ملك الأغلبية، وأن يؤسس دولة العبيديين أو الدولة الفاطمية بأفريقيا (296هـ - 909م)، وتوطدت دعائم الدولة الجديدة بسرعة، ولم تلبث أن غلبت على المغرب كله، ثم افتتحت مصر، واتخذتها مستقراً ومنزلاً (359هـ - 363هـ).

### العبيديون الفاطميون والقرامطة

هكذا نشأت الدعوة الباطنية وتطورت، وظهر وجود صلة قوية بين الدعوة الباطنية والدعوة السرية الفاطمية، بل يمكن القول بأن الدعوة الفاطمية السرية إنما هي الدعوة الباطنية بذاتها.

وإن هنالك في المصادر الإسماعيلية ذاتها ما يدل على أن الدعوة السرية الفاطمية، تمت بصلة وثيقة إلى الدعوة التي يعتنقها القرامطة في البداية، فلقد نشأ القرامطة في أكناف الدعوة الشيعية، وتحت ظل أئمة سلمية المستورين. وقد استظل القرامطة في بدء أمرهم بلواء الخلافة الفاطمية، ودعوا لها مذ قامت بأفريقيا، واستمد زعمائهم منها العهد.

### النظريات والرسائل الإلحادية

سبق القول أن الفاطميين اعتمدوا الدعوة السرية لنشر أفكارهم ومبادئهم الإلحادية، وقد وصلت إلينا بعض هذه الوثائق وهي من إنشاء كبير الدعاة وزعيمهم حمزة بن علي، ويستعرض فيها كثيراً من أصول دعوته،

ويؤيدها بمختلف الشروح والمقارنات, ونستطيع أن نلخص مذهب حمزة بن علي في نقاط جوهرية ثلاث:

**الأولى:** التناسخ, والاعتقاد بأن مذهبهم أو دينهم ينسخ جميع الأديان والشرائع السابقة, ويقول بأن الحاكم بأمر الله هو "ناطق النطقاء" جاء بعد النطقاء الستة الذين تقدموه, وكان آخرهم محمد, وهو قائم الزمان جاء بعد السبعة الصامتين الذين جاءوا بعد محمد صلى الله عليه وسلم.

**الثانية:** الحلول أو حلول الروح, فروح آدم أصل البشر قد انتقلت إلى علي بن أبي طالب, ثم انتقلت روح علي إلى الحاكم بأمر الله.

**الثالثة:** ألوهية الحاكم بأمر الله, فالحاكم ليس إنساناً كباقي البشر, ولكن الروح الإلهية حلت به واتخذت صورته, وهذا هو في الواقع أساس المذهب وعماده الجوهرية.

## ختاماً

حرصنا في عرضنا لأحد الكتب المتميزة للدكتور عنان علي تسليط الضوء على الدولة الفاطمية التي تنبت العقائد الإسماعيلية, وبينا عقائدها التي خالفت ما عليه أمة الإسلام, كما حرصنا على إيضاح بعض الجوانب الغامضة في مسيرة هذه الدولة التي نسبت نفسها زوراً إلى آل البيت وإلى الإمام جعفر الصادق, حيث بين المؤلف بما لا يدع مجالاً للشك حقيقة انتساب العبيديين أو الفاطميين إلى ميمون بن ديسان الفارسي المجوسي وقد مزاعمهم بانتسابهم إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

كما خص المؤلف عصر الحاكم بأمر الله بمزيد من التفصيل والبيان لغرابته وشدة انحرافه وخروجه عن المألوف وادعائه الألوهية, وإصدار التعليمات الغريبة المتناقضة.

كما حرص المؤلف على بيان أسس ومراحل الدعوة السرية التي تبنتها الفاطمية, والتي هي في حقيقتها دعوة إلحادية منحرفة, أدخلت على الإسلام وثنيات المجوس, وأباطيل المنحرفين.

ولم يفت المؤلف بيان الصلة الوثيقة التي كانت تجمع الفاطميين بالقرامطة الإسماعيلية الذين حاربوا المسلمين, وقتلوا حجاج بيت الله الحرام, واقتلعوا الحجر الأسود, لكن مطامعهم التي لا حدود لها, ومنافستهم على البلاد التي كان يحتلها الفاطميون سببت القطيعة بين الجماعتين.

الراصد

## إذا لم تستجِ فاصنع ما شئت

قالوا: "شخصياً لا أستطيع السيطرة على أعصابي عندما يتحدث عمرو خالد عن أرذل خلق الله، ومشكلة عمرو خالد أنه يقدم الإسلام من خلال تجارب القتل والأفكاريين والدمويين وكتاب التاريخ المزور (خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وأبي هريرة ومعاوية بن أبي سفيان...), إن هؤلاء الذين يدافع عنهم (الشاب خالد) مغمورون في الأرض، ملعونون في السماء".

أحمد حسين إبراهيم

موقع إباء الشيعي 21/9/2002.

قلنا: ما نقلناه عن أحمد هذا غيظ من فيض، بل لقد اخترنا أكثر العبارات تهدياً، من بين تلك التي درج الشيعة على استعمالها في حق صحابة النبي صلى الله عليه وسلم.

لقد صبَّ هذا الموقع المشبوه جام غضبه على عمرو خالد؛ لا لأنه ألف كتاباً عن عقائد الشيعة، ولا لأنه انتقد شخصية شيعية مثلاً، بل لأنه يتحدث عن صحابة النبي الكرام وزوجاته الطاهرات، ولقي حديثه هذا قبولاً كبيراً في أوساط المسلمين الذين يعرفون منزلة الصحابة وفضلهم وقربهم من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

لقد بلغت الوقاحة بهذا الموقع إلى أن يتهموا سيف الله المسلول خالد بن الوليد بالزنى من زوجة مالك بن نويرة "المرتد، الذي يعتبره الشيعة صحابياً جليلاً! ويتهموا أبا هريرة رضي الله عنه بأنه علماني كانت مهمته الافتراء على الله ورسوله، ويكفي هذا الغيظ من الفيض كفانا الله شره.

## الحق أنطقهم

قالوا: "الظلم الديكتاتوري الذي أرخى بظله على العراق المضطهد عبر عشرات السنين الماضية أريد له أن يلبس الثوب الطائفي والمذهبي من خلال تركيز النظام السابق على استهداف وضرب البيئة الشيعية المتحركة بما يوحي أن هذا الظلم الذي كان قائماً هو ذو بُعد مذهبي بعيداً عن حقيقة النظام العلمانية المتمتة فكراً قومياً اشتراكياً خالياً من أي اعتبار ديني، هذا مع العلم أن أشنع مجازر النظام كانت في مدينة "حليجة" الكردية السنية والتي اعتبرت حدثاً إجرامياً كبيراً في التاريخ الحديث لهذه المنطقة...".

مصعب حيدر

مجلة الوحدة الإسلامية الناطقة بلسان تجمع علماء الشيعة في لبنان

العدد 22 رجب- شعبان 1424هـ / سبتمبر- أيلول 2003م

قلنا: دأب الشيعة على نسبة جرائم صدام إلى السنة واستغلوا ذلك في ظلم أهل السنة في الحكم الجديد وتهميشهم والإساءة إليهم، ورغم ذلك، فإن واحداً من المنابر الشيعية "مجلة الوحدة الإسلامية" أنطقها الحق، وليت الشيعة الآخريين يتعظون.

الراصد

## ملايين أم آلاف؟

قالوا: "توقع وصول ثلاثة ملايين شيعي إلى كربلاء في ذكرى المهدي، والسلطات المحلية تتوقع وصول خمسة ملايين زائر"

الرأي 12/10/2003

قلنا: "لقد فات واضعو هذا الخبر أن يقولوا وصول "مليار" شيعي أو مليارين، فتضخيم الأرقام صار أمراً مألوفاً لدى الشيعة، فهم يريدون أن يقنعونا بأنهم الأغلبية الساحقة في العراق، والسبب معروف: الاستئثار بالحكم وتهميش السنة واضطهادهم.

ونحن نتساءل: كيف يمكن لهذه المدينة الصغيرة أن تستوعب هذه الملايين الخمسة، وهي بهذا المستوى من ضعف الإمكانيات والتجهيزات، وقلة المرافق في الوقت الذي لا تستطيع مدينة مثل مكة المكرمة هي قبلة جميع المسلمين من استضافة أكثر من مليوني حاج أو معتمر برغم الخدمات والبنية التحتية الهائلة التي تمتلكها والتوسعات المستمرة!

## أهكذا هو العداء مع الشيطان الأكبر!

قالوا: "س: بريمر والإدارة الأميركية يعتبران المقاومة العراقية ضد الاحتلال إرهاباً، فمع من أنتم؟

ج: قتل آية الله محمد باقر الحكيم مع ثمانين من رفاقه وجرح أكثر من 200 من الأبرياء الذين أنهوا صلاة الجمعة في مرقد الإمام علي، أليس هذا إرهاباً؟ واغتيال ممثل الأمم المتحدة دي ميللو، أليس هذا إرهاباً؟!

س: وهل قتل الجنود الأميركيين إرهاب؟

ج: تفجير السفارة الأردنية.. أليس هذا إرهاباً، وإذا كان هذا ليس إرهاباً، فما هو الإرهاب في نظر الإعلام العربي؟

س: ماذا عن قتل جنود الاحتلال الأميركي.. هل يعد إرهاباً؟

ج: غالبية الشعب العراقي تؤمن بأنه لا بد من اتباع الأسلوب السلمي في مقاومة الأميركيين وليس شن هجمات عليهم.

س: أي ترشقونهم بالزهور؟ وكيف تقاومونهم سلمياً؟

ج: بين الصففر والمائة هناك 90 درجة وبين رش المورود والرصاص هناك 99 درجة.

س: هل يمكن مقاومة الاحتلال بدون رصاص؟

ج: العمليات العسكرية تستهدف منشآت النفط والكهرباء والماء.

س: ولكن لم تجبني، هل قتل الجنود الأميركيين إرهاباً؟ وأنتم كنتم تقاومون حكم صدام بالسلاح وليس بالورود، فكيف هذا التحول السلمي المذهل لديكم؟

الراصد



ج: من قال ارموهم بالزهور؟ وأنت تنسب لي كلاماً لم أقله. الصحف العربية تكيل بمكيالين, فمجلس الحكم يجب -من وجهة نظر هذا الإعلام- أن يكون منتخباً بينما لا يطالب الحكام العرب بأن يكونوا منتخبين؟ بالنسبة للمقاومة, فنحن نقاوم سلمياً ونتبع أسلوب الحوار.. والمقاومة بالسلاح ليست لصالح الشعب العراقي في هذه المرحلة".

حامد البياتي

ممثل المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق

الوطن العربي 3/10/2003

قلنا: لقد أعادت المجلة سؤالها ست مرات لمعرفة رأي الشيعة في الاحتلال الأمريكي للعراق هل يعد عندهم إرهاباً أم لا, والجواب كان الكثير من الهروب من هذا السؤال المحرج الصعب, والكثير من الدبلوماسية.

### المتشيعون والصوت العالي

قالوا: "إن هؤلاء السادة (الإخوان المسلمين) لا يعرفون شيئاً لا عن الإسلام ولا عن الفقه, وإن سلاحهم المعرفي الأساسي هو المسدس والقنبلة فضلاً عن التزييف الإعلامي.

نحن أمام وجوه متعددة لشيطان واحد يرتدي مسوح الرهبان والقديسين.. قاتل وشاعر وطابور خامس من المفتين الذين يلبسون الحق بالباطل ويكتمون الحق وهم يعلمون, ولا يباليون بحرمة الدماء ولا مسؤولية الكلمة.."

الكاتب المصري المتشيع

أحمد راسم النفيس

القاهرة 9/9/2003

قلنا: لقد أطلق هذا الكاتب المصري المتشيع العنان لنفسه لمهاجمة أكبر تيار إسلامي وهو جماعة الإخوان المسلمين, بالرغم من أن المتشيعين جسم طارئ وغريب علي المجتمع المصري, ويحدث هذا في الوقت الذي يعقد فيه الشيعة مؤتمراً في البحرين للتقريب بين الشيعة والسنة.

فإذا كان هذا هو تعاملهم مع الهيئات والشخصيات السنية التي تحابي الخط الشيعي, فكيف سيكون حال هؤلاء المتشيعين إذا ما صاروا أكثرية؟ ومتى يتنبه أهل السنة إلى حقيقة موقف الشيعة منهم؟

الراصد

الراصد

## من الذي قتل الحكيم؟

## معلومات عن انشقاق عسكري في فيلق بدر<sup>(1)</sup>

أكدت مصادر عراقية مطلعة أن انشقاقاً حصل في فيلق بدر الجناح العسكري للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق قبل أقل من شهر من عملية اغتيال زعيم المجلس محمد باقر الحكيم في النجف، وأضافت المصادر أن الانشقاق في "بدر" قاده مسؤول عسكري كبير في الفيلق يدعى "حاجم" بحيث أصبح هناك تياران في فيلق بدر، الأول تابع للحكيم، والآخر تابع لـ "حاجم" الذي قالت تلك المصادر إن التحقيقات ترجح مسؤولية جناحه عن اغتيال الحكيم.

وقالت المصادر العراقية إن فيلق بدر الذي كان موجوداً في إيران قبل العدوان الأمريكي على العراق، هو المسؤول عن حراسة قادة المجلس الأعلى للثورة وتوفير الحماية لهم، حيث لوحظ أن قوات من الفيلق تابعة لـ "حاجم" لم تتواجد في موقع عملية اغتيال الحكيم، وكان المكان دون حراسة من قوات بدر، مما سهل تنفيذ عملية التفجير المروّع في النجف.

وقال المصادر العراقية إن انشقاق "حاجم" وخروجه على الحكيم تم بدفع من دولة مجاورة قالت إن "حاجم" محسوب عليها. وأضافت أن "حاجم" له ميول باتجاه الزعيم الشيعي البارز مقتدى الصدر. وبينما تعد النجف المكان الرئيس لوجود جناح الحكيم في فيلق بدر، فإن "حاجم" يتركز في الناصرية جنوبي العراق.

وأشارت المصادر العراقية إلى أن جماعة الحكيم أبدوا تسرعاً في توجيه الاتهامات لأطراف عراقية ولعناصر من دولة عربية مجاورة، فور عملية الاغتيال، وحاول البعض إضفاء بعد طائفي على العملية، وهو ما أثار مخاوف شديدة من احتمال تفجير فتنة طائفية واسعة، لكن المفاجئ -وفق المصادر العراقية المطلعة- أن نتائج التحقيق دخلت طي الكتمان بعد ذلك، ولم يعد يطرح أي حديث عن هوية الجهة المسؤولة عن اغتيال الحكيم بعد مرور ستة أسابيع على العملية، وهو ما أثار الكثير من الشكوك.

يذكر أن زعيماً دينياً كبيراً هو عبد المجيد الخوئي كان قد تعرض لعملية اغتيال داخل المسجد في النجف نتيجة خلافات داخلية، ولم تحظ تلك العملية في حينه باهتمام إعلامي واسع رغم أن الخوئي كان يعد شخصية رئيسية لا تقل مكانتها عن مكانة الحكيم، وقتل معه عدد من الأشخاص داخل المسجد.

الراصد

<sup>(1)</sup> ( ) السبيل، 7/10/2003

## ملاحظات على نقاط ضعف السياسة الخارجية

## الإيرانية في عهد خاتمي<sup>(1)</sup> أحمد نجيب زاده أستاذ العلوم السياسية-جامعة طهران

يبين المقال أن إيران برغم امتلاكها لعناصر كثيرة إيجابية يمكن أن تسخرها في سياستها الخارجية، إلا أن هذه العناصر كالنفط والبيئة والسكان والموارد والقوة العسكرية، كانت وبالاً عليها بسبب سوء الاستخدام والأطماع وتصدير الثورة والاصطدام بالآخرين.....المحرّر.

إن السياسة في جوهرها هي علم البراعة والحسابات الدقيقة حيث الحكمة والعقل والقيادة. وكما قال أحد الحكماء فإن " إدارة شؤون البلاد تتطلب التفكير العميق والحكمة " ومن الممكن القول بأن الحكمة يمكن أن تستخدم في كل مناحي الحياة وليس فقط في السياسة، وقد يقول القائل أنه من الممكن أن تسود الحكمة كل شيء إلا العلاقات الخاصة والمشاعر الإنسانية، ومن المؤكد أن عالم السياسة لم ينفصل عن المشاعر والأحاسيس وربما يكون من الخطر أن يتعد. فقد ذكر ألكسندر سولزبينشتين قادة الكرملين في خطابه الذي انتقد فيه سياساتهم، أن الذي جلب للاتحاد السوفييتي انتصاراته في الحرب العالمية الثانية، ما كان إلا المشاعر الوطنية والدينية وليس الأيديولوجية اللينينية - الماركسية .

كل هذه العوامل لا بد أن تؤخذ بعين الاعتبار عند وضع منظور التخطيط الاستراتيجي لكن قيادة التخطيط والتنفيذ لا بد أن تكون في أيدي حكماء، فليس من خطر أشد على الأمم في السياسة - خاصة الخارجية - من التوجهات الرومانسية، فالخبرات التاريخية تؤكد أن مثل هذه التوجهات مكتوب لها الفشل لا محالة، ففي نهاية القرن الثامن عشر وفي فترات التطرف العقلاني، كان الناس ينحون نحو العاطفة والإلهام والشعر، كانت الرومانسية تسود كل أشكال الأدب وتخترق كل المجالات بما في ذلك السياسة، كانت هذه الأوضاع من بين الأسباب التي أدت إلى فشل العديد من الحركات الوطنية رومانسية التوجه، مثل حركة الإحياء في إيطاليا.

لكن الموجات التالية للرومانسية كانت أشد خطراً، ففي بداية النصف الأول من القرن العشرين، سادت هذه التوجهات وظهرت النازية والفاشية، في هذه الأوقات وبعد فترات طويلة من الفوضى وفترات أطول من اليأس اتخذ الناس من الأساطير ملجأ لهم، سادت الأساطير والسخرية اللاذعة حتى أصبحنا هما الحقيقة والمصباح المنير للناس، ومن بين الأساطير التي لا زالت موجودة حتى يومنا هذا أسطورة القومية، القومية الطورانية، القومية التركية، القومية الإسلامية والقومية الإيرانية، وفي عصر سيطرة العديد من النظم الاستعمارية على الدول الإسلامية، لم تكن أسطورة القومية الإسلامية في إطار الأمة الموحدة، إلا إغفال للحقائق، فقبل هذا كانت هناك تجربتان فشلتا فشلاً ذريعاً، التجربة الناصرية التي دعت إلى دولة عربية موحدة، والتجربة البعثية التي دعت إلى أمة عربية موحدة، فلو كانت فكرة

الراصد

(1) مختارات إيرانية العدد 32 2003

الأمة والعالم الإسلامي الموحد قد بقيت مثل " التحالف المقدس " لقيصر الروس الكسندر الأول في عام 1815 لكانت مقبولة، لكن كيف ذلك، وفي هذه المنطقة تعيش أربعون أقلية إثنية ودينية وتوجد أنظمة تتراوح ما بين الرجعية والثورية، في كل هذه الأوضاع فإن موضوع الوحدة ما هو إلا حلم من أحلام اليقظة.

منذ بداية القرن التاسع عشر، أصبحت السياسة الخارجية الناجحة هي التي تقبل بحقائق الحكومات والدول وتعرف عن كذب التركيبة الهرمية للقوى في العالم وعلى هذا الأساس يمكن للقائمين على السياسة الخارجية أن يعملوا على إعداد السيناريوهات التي تتوافق مع موقفهم الخاص، والبيئة السياسية العالمية، ولا بد لصانعي السياسات أن يأخذوا بعين الاعتبار قواعد اللعبة في العلاقات الدولية، حيث العلاقة المنطقية بين أهدافهم والأدوات العملية التي يملكونها.

وربما نستدعي هنا مقولة كورت ليوبن، ومفادها أن ما يشكل السياسة الخارجية لبلد ما هو المعادلة التالية :

$F=(A,E)C$  حيث يمثل الطرف الأول للمعادلة السياسة الخارجية التي تستدعي نوعاً من الأداء يتكون من الفاعلين لهذه السياسات والبيئة المحيطة بهم، وحسب هذه المعادلة فإن السياسة الخارجية هي النتيجة الطبيعية لأداء القائمين عليها والبيئة المحيطة بهم، وسوف نستخدم هذه المعادلة كمرشد لنا لنرى الأدوات التي تمتلكها إيران كفاعل على الساحة الدولية والعوامل التي تؤثر في سياستها الخارجية، بعد ذلك سنتطرق للموقف الدولي في الثمانينات والتسعينات، سيبدو -عند ذلك- أن الأداء والأهداف والبرامج التي وضعت أي الخطط والأهداف - لم تكن متجانسة، ومما لا شك فيه أن المصالح الوطنية هي الأساس الذي نستطيع أن نحكم من خلاله، على الرغم من أنه من الصعب أن نحدد ماهيتها وقد تختلف الآراء حولها.

ولعلنا نستطيع أن نحسم هذه الإشكالية بسؤال بسيط : هل يحق للأب محدود الدخل والإمكانات أن يتجاهل رفاهية ومستقبل أبنائه ؟ هل يحق له أن يتصرف بشكل لا يتناسب ومصالح العائلة ؟ هل يعطي الأولوية لرخاء ومصالح الآخرين مثل الأصدقاء والجيران ؟ ثم بعد ذلك علينا أن نتساءل : ما هو السبيل إلى الأداء الذي يؤمن مصالح العائلة ... قد يكون ذلك موضعاً للاختلاف.

### 1-إيران كفاعل :

عدد ريمون هارون، عالم وأستاذ العلوم السياسية الفرنسي في رائحته عن " الحرب والسلام بين الأمم " العوامل التي تؤثر على السياسة الخارجية لدولة ما وهي البيئة، والمكان والسكان والموارد، والنظام السياسي والقوة العسكرية والبعثات الدبلوماسية والأيدولوجية والشعور الوطني، إن إيران بلد واسع، لكن اتساعها لا ينعكس بالضرورة على قدراتها كقوة كبرى، وبسبب اتساع حدودها وانتشار سكانها، فإن الدولة تحتاج دائماً إلى قوة عسكرية كبيرة كانت هذه هي الأسباب التي دعت إلى ظهور الحكومات العسكرية والديكتاتورية حسب نظريات الاستبداد الشرقي.

وبعد تأسيس الجمهورية الإسلامية ونشوب الحرب بين إيران والعراق، تأكد للجميع أن حماية الحدود الإيرانية ليست بالأمر الهين فلا بد من وجود جيش قوي وكبير، وبغض النظر عن أن اتساع رقعة إيران قد يعد نقطة ضعف أو قوة، فإنها تعتمد على عوامل كثيرة منها رجال الدولة، إن الموقع الاستراتيجي لإيران والذي يربط آسيا بالشرق الأوسط ووسط آسيا بالخليج (الفارسي) هو الذي يجعلها تعمل كنقطة التقاء لأربع مناطق في العالم، لكن لأن إيران غير قادرة على استغلال هذا الموقع، فإن قوى أجنبية بدأت تتناحر وتعمل على وضع حكومات حليفة في سدة الحكم، وهذا ما يدعو إيران إلى التفكير جدياً في أهمية استغلال هذا الموقع وإلا فإن الأهمية الاستراتيجية ستتحول إلى نقطة ضعف.

أما سكان إيران، فقد كان تعدادهم قليلاً، لكنه بدأ في التزايد بشكل غير منتظم مما أدى إلى ظهور العديد من المشاكل، واليوم تعد كفاءة السكان وليس تعدادهم هو المقياس الأهم، لكننا نرى فجوة كبيرة بين الأغنياء والفقراء، وفجوة أكبر بين المتعلمين وغير المتعلمين، وفشلاً كبيراً في تخطي الحواجز الإثنية التي أصبحت تشكل عاملاً من عوامل عدم الاستقرار السكاني، فإذا ما كانت هناك حكومة حكيمة وذات نظرة ثاقبة في شؤون التخطيط، لكانت قد دعمت أسس الوحدة الوطنية وبسطت نفوذها في الدول المجاورة، ومثال على ذلك الإيرانيون العرب يستطيعون القيام بدور كبير في الدول الإسلامية، كذلك الحال مع الإيرانيين من أصل تركي.

ومن المفترض أن تكون الموارد الطبيعية عاملاً هاماً لدعم السياسات الخارجية، إلا أن البترول في إيران أصبح عاملاً سلبياً في هذا المجال وأضعف اقتصادها وسياساتها الخارجية التي أصبحت تعتمد على منتج واحد لقد تحولت العقوبات الاقتصادية إلى موقف تراجمي معقد بدلاً من أن تحفزنا على دعم البنية التحتية لصناعاتنا، فالدول تقاس قواها الآن بمدى التقدم الصناعي والتكنولوجي الذي يمكنها إحرازه.

وكانت القوة العسكرية في فترة حكم الشاه تقوم على أسس كلاسيكية، وبمقاييس ذلك الزمان، فإن الجيش كان مرتبطاً بنظام التسليح الأمريكي، لذا كان لدى إيران جيش قوي وتعتمد عليه، ومن جهة النظر هذه، فلا بد أن نؤكد أن على إيران أن تملك جيشاً قوياً مثل فرنسا وليس مثل سويسرا، لقد كان الشاه محقاً عندما عمل على بناء جيش قوي، لكن اعتماد الجيش على الخارج في التسليح يعني أيضاً التبعية السياسية وهو ما حدث في حالة تركيا، وبنفس المقاييس فإن استقلالية إيران السياسية خلال فترة الجمهورية الإسلامية تستدعي الاستقلالية العسكرية، لكننا نعرف أن الصناعات العسكرية في إيران ليست في المستوى الذي يسمح لها بالمواجهة مع دول مثل تركيا أو باكستان اللتين تسليحان جيوشهما حسب النظم الغربية المتقدمة الشيء الوحيد الذي استطاعت إيران أن تقوم به هو تنوع مصادر السلاح، لكن لا بد من أخذ المبادرة بتطوير صناعة الأسلحة لمواجهة استفزازات دول مثل تركيا وإسرائيل، وحتى ذلك الحين، على إيران إما أن ترجئ بعض سياساتها أو تعمل على تأكيد عناصر أخرى في سياستها الخارجية.

الرائد

أما البعثات الدبلوماسية لإيران فقد كانت في غاية الضعف، حيث لم تقم بدورها في وضع السيناريوهات المحتملة ولم تعمل على المشاركة الإيجابية في المحافل الدولية، وفي بعض الحالات يكون من الأفضل عدم وجود مثل هذه البعثات، فمنذ عهد الصفويين، كانت المشاعر الوطنية

للإيرانيين هي الطريق الأوحده لحركات المقاومة، وقد نجحت الثورة الإسلامية في إيران عندما خرجت الملايين إلى الشوارع لتؤكد هذا الاختيار وتضيف ثقلاً كبيراً لإيران بين الشعوب الإسلامية، لكن ذلك أثار الرعب بين الحكومات خاصة عندما أصبح الإسلام هو العامل المحدد للسياسة الخارجية الإيرانية، لم يكن معروفاً في ذلك الوقت كيف سيكون الإسلام موجهاً للسياسة الخارجية الإيرانية، مما أثار الكثير من الشكوك بين جيراننا، وفي هذا السياق كان هناك عاملان أساسيان يثيران التساؤل :

الأول كان وحدة الشعوب الإسلامية والثاني كان تصدير الثورة وهو ما دعا صدام حسين إلى الدخول في حرب ضد إيران بمساندة الأنظمة العربية ويفسر ذلك أيضاً الحملة الدعائية التي بدأت في ذلك الوقت ضد إيران في روسيا، كانت هناك نظريتان تقفان في المواجهة، الأولى كانت نظرية تروتسكي حول الثورة العالمية والثانية كانت تدعو إلى احتواء الثورة في روسيا وتقوية أسس الاشتراكية، النظرية الثانية التي دعا إليها لينين هي ما اعتقده ستالين واستطاع من خلاله أن يبسط نفوذ نظامه على حساب فقدان مساحات شاسعة من روسيا.

أدت هذه الواقعة في النهاية إلى استعادة روسيا كل الأراضي التي فقدتها أثناء الحرب العالمية الثانية، بالإضافة إلى أنهم استطاعوا أن يبسطوا نفوذهم على ما يقرب من نصف دول أوروبا، لكن الاعتماد على نظرية الثورة العالمية أو على الأقل الثورة على أراضي المسلمين وهو ما اعتبره العديد من الدول تدخلاً في شؤونها الداخلية، فقد كبل إيران بالعديد من المشاكل التي لا زالت تعاني منها منذ عشرين عاماً، لقد تحول الاتحاد السوفيتي خلال عشرين عاماً منذ اندلاع الثورة البلشفية إلى قوة عظمى، بينما تزايدت المصاعب التي تواجه إيران بسبب الفشل في فهم - والاعتراف - بالنظام الدولي وموقع هذه الدولة من هيكلية هذا النظام، وبللمحة سريعة حول العوامل المؤثرة في السياسة الخارجية لإيران، سنصل إلى نتيجة مفادها أنها ليست في موقع القوة الرئيسية في العالم ولا تستطيع القيام بدور قيادي في منطقة هامة منه، إن إيران تعد قوة إقليمية هذا إذا ما كان لديها حكومة تستطيع استغلال كافة الإمكانيات المتاحة.

## 2- البيئة :

عندما قامت الثورة الإسلامية في إيران كان النظام الدولي ثنائي القطبية لا زال قائماً، على الرغم من وجود بعض الإنشقاقات التي ظهرت في بنيتها وفي عام 1979 عندما قامت الثورة وبدأت الحرب الباردة الثانية بدخول القوات السوفيتية في أفغانستان أصدر كارتر قراره ببدء تصنيع صواريخ إم إكس، في الوقت الذي كان فيه الاتحاد السوفيتي مشغولاً ببناء صواريخ اس اس 20، وفي أماكن أخرى من العالم كان هناك تطور سريع باتجاه تدعيم السوق الأوروبية المشتركة وظهور الصين كقوة عسكرية وانطلاق اليابان كقوة اقتصادية بارزة، كما ظهرت بعض الحكومات في ليبيا



وسوريا لتمثل تحدياً للنظام ثنائي القطبية، في هذا المناخ ظهرت الثورة الإسلامية بشعارها " لا شرق ولا غرب ". قبل ذلك التاريخ لم يكن ممكناً لدول العالم الثالث أن تعمل بعيداً عن التقاليد التي وضعتها إحدى القوتين العظميين، فقد استفادت النظم الحاكمة في كوبا وفيتنام وسوريا وليبيا من مساعدة الكتلة الشرقية.

وربما كان من الممكن خلال الفترة من 1979 - 1985 أن تقع ثورة مستقلة عن الكتلتين، فقد لاحظنا أن القوتين العظميين قد توصلا إلى نوع من الاتفاق وظهر ذلك واضحاً في صدور القرار 598 ضد إيران، وكيف قامت أمريكا بقصف طائرة ركاب إيرانية، ووقف الاتحاد السوفيتي صامتاً حيال ذلك، في نفس الوقت، كان لدى إيران مساحة للمناورة وهو ما لم يعد متاحاً بعد تفكك وسقوط الاتحاد السوفيتي حيث سادت أجواء أقرب إلى الأجواء التي عرفها العالم عام 1919.

وكننتيجة لذلك واجهت إيران القوة الوحيدة العظمى التي بقيت على المساحة الدولية، دون أن تستفيد من إمكانية مساعدة قوة أخرى. وهكذا فرضت الكثير من القيود على إيران الإسلامية، وكان لابد من الاختيار بين طريقتين، إما أن نصل إلى اتفاق مع أمريكا. وكان ذلك يستدعي وجود بعثات دبلوماسية قوية بالإضافة إلى تقديم تنازلات... أو اتباع نفس السياسة التي اتبعها الصينيون منذ عقدين وهي إغلاق الأبواب وبناء دولتهم من الداخل. حتى هذا الخيار كان لابد له من وجود الاتحاد السوفيتي لكي يساعد في بناء البنية التحتية الصناعية كما فعل ستالين مع الصين.

**الطريق الثالث،** والذي اقترحه البعض، كان إقامة تحالف مع قوى أخرى مثل الصين وروسيا واليابان وأوروبا. وكانت هذه نظرة ثبت عدم جدواها. ففي مجال التعاون الخاص بالصواريخ والمفاعلات النووية، نجد أن الصين ليست مستعدة لاتخاذ أية مواقف قد ينشأ عنها مشاكل خطيرة. وعندما تجد الصين أنها ستواجه مأزقاً في علاقتها بالولايات المتحدة فإنها عادة ما تضحى بإيران. على الجانب الآخر، كانت روسيا المنافس الطبيعي لإيران في وسط آسيا بينما اليابان لا تستطيع أن تتخذ أية مواقف مناقضة لوجهات النظر الأمريكية. ولقد كانت وجهة نظر إيران مخطئة أيضاً فيما يتعلق بأوروبا. فعلى الرغم من المنافسة الاقتصادية القائمة بين أوروبا وأمريكا إلا أنهما يشتركان في بعض المصالح الإستراتيجية. لذا، لم تستطع أوروبا أن تقوم بدور الشريك الاقتصادي لإيران. هنا لابد لنا أن نقول أن سقوط الاتحاد السوفيتي قد أدى إلى تفوق الغرب وزيادة قوته بشكل منفرد وقلل من الأهمية الإستراتيجية للعديد من الدول بما في ذلك تركيا وإيران بالنسبة للكتلة الغربية. كان هناك عاملان يجب العمل من خلالهما لتخطي هذا الموقف المعقد: الأول هو البراجماتية والمرونة والثاني هو وجود مجموعة قيادية ومحترفة من العاملين في السلك الدبلوماسي. وكلاهما لم يكن موجوداً.

وفي الوقت الذي نؤكد فيه على أن الإقليمية هي عامل من عوامل الوقف الدولي، لابد لنا أن نضع في الاعتبار نقطتين متوازيتين، الأولى هي القوى الإقليمية المنافسة ومواطن التأثير الحقيقية والمتوقعة. ومواطن التأثير هذه قد تكون اقتصادية أو سياسية أو ثقافية. وفي بداية الثورة واجه

الراصد

الراصد

الاقتصاد الإيراني العديد من المشاكل، لذا لم يكن من الممكن أن يصبح عاملاً مؤثراً.

وفي المجال السياسي كانت إيران خلال فترة حكم الشاه وبمساندة القوة الأمريكية تستطيع أن ترتدي لباس قيادة منطقة الخليج (الفارسي). ولفترة بعد الثورة، كان لإيران هذا التأثير في المنطقة. ولأن الثورة الإسلامية كانت بالأساس ثقافية فقد كان من المتوقع أن تنحو هذا النحو. كانت الأداة المتوقعة في هذا السياق هي أولاً الثقافة الوطنية التي امتدت من الشرق إلى الشمال الشرقي. مثل وسط آسيا، وثانياً العقيدة التي تضم العالم الإسلامي كله. لكن الخلافات بين السنة والشيعة لم تكن بالشيء البسيط الذي يمكن حله. لذا، كان التأثير العقائدي لإيران ذا طبيعة ثنائية لكن الطريق لم يكن مسدوداً باتجاه التأثير الثقافي في وسط آسيا. في هذا الوقت لم يكن لدى إيران أية نظرة ثاقبة وفضلت العمل باستخدام الإسلام. هنا أيضاً، ظهر الخلاف بين السنة والشيعة وبالطبع كان من المتوقع أن تضع الحكومات العلمانية العراقية في وجه التأثير الإيراني. بالإضافة إلى ذلك، فقد واجهت إيران المنافسين الطبيعيين لها مثل تركيا والمملكة السعودية وباكستان وقد ظهر نوع من تقسيم العمل فيما بينهم؟! حيث اهتمت تركيا بأسواق المنطقة، واهتم السعوديون بالتأثيرات الدينية ونشر المذهب الوهابي؟! في حين ركزت باكستان على القوة العسكرية. كل هذه التطورات ظهرت لأن طهران كان عليها أن تدعم، واقعياً، موقفها كحكومة وأمة وعندما تصل إلى مرحلة التجانس الداخلي وتمتلك أدواتها الدبلوماسية والاقتصاد القوي، كان يمكنها حينئذ أن تمارس تأثيرها وأن تقوم بدورها. كان من الأهمية بمكان أن يتأكد موقع إيران في السياسة الدولية أولاً. لقد حصلت تركيا على الكثير من تنازلاتها وربما خضوعها للولايات المتحدة وإسرائيل في حين لم تجن إيران أي شيء من استقلالها. هذه الحقيقة توضح أن اللجوء إلى طرق الصراع قد تكون مكلفة، لذا على المرء أن يحاول مرة أخرى.

### 3- السياسة الخارجية الإيرانية منذ الثورة وحتى 1997 :

#### أ- الإطار النظري:

تشكلت الثورة الإسلامية في إطار اعتقاد بأن الثورة ستجتاح العالم الإسلامي بأسره. لذا، فإن إيران يمكنها أن تقود العالم الإسلامي أو المستضعفين في العالم لتضع نهاية للنظام القائم على الظلم والاحتلال والاستغلال والامبريالية. وقد اعتمدت في ذلك على استراتيجية لم يكن للقوى العظمى أن تتبعها، وفي السابق قام نابليون بونابرت وأدولف هتلر، اللذان لم يروقهما النظام القائم في ذلك الوقت بوضع سياسيات خارجية ثورية، وكان مقدرًا لهما الفشل الذريع.

إن الفرق بين بونابرت وإيران الإسلامية يتضح في حقيقة أن كلاهما تحرك في إطار طموحاته، حيث اعتبرت إيران نفسها حامياً للعدالة وبالتالي انطلقت موجة عارمة من الدعم على المستوى الدولي، لكن الإيرانيين لم يدركوا أن القوى العظمى سوف تقود حملة إعلامية مناهضة لإيران، لم

الراصد

تستطع آلية العلاقات العامة الإيرانية أن تواجهها، لقد عملت إيران على أن تقود حركة دولية لنصرة المستضعفين في مواجهة المستكبرين، كان عليها أن تسرع بالاستجابة لكل مسلمي العالم وأن تمد يد العون والصدقة لكل الحكومات الثورية في العالم الإسلامي وتدعم الجماهير التي تعمل على الإطاحة بالأنظمة الفاسدة.

وهكذا، انقسمت الدول إلى قسمين : **الأول**، المستكبرون **والثاني**: المستضعفون.

مجموعة المستكبرين تنقسم بدورها إلى قسمين : الأول يتكون من الدول التي لا تعمل على القضاء على الإسلام والثورة الإسلامية مثل السويد وسويسرا والتي من الممكن لإيران أن تقيم معها علاقات جيدة، أما الثاني، فهو يتكون من المجموعة التي تعمل على القضاء على الإسلام مثل أمريكا وبريطانيا، وبالتالي فسوف تناصبهم إيران العدا، لكن الحقيقة كانت شيئاً آخر، فعندما فرضت الولايات المتحدة العقوبات الاقتصادية على إيران، لم تعرها أي من الدول المستكبرة اهتماماً، في حين أن الدول المستضعفة من غير الدول الإسلامية مثل دول أمريكا اللاتينية، لم تهتم بكل المقولات الانسانية التي تشدقت بها طهران، أما الدول الإسلامية فكانت من أولى الدول التي ناصبت إيران العدا.

فالعراق الدولة المسلمة هاجمت إيران بدعم من كل الدول العربية فيما عدا سوريا وليبيا، وعلى الرغم من أن نظرية المستضعفين لم تكن سوى سراب، وأن الحرب العراقية الإيرانية قد أضعفت المشاعر الوطنية فإن السياسة الرسمية بقيت متمسكة بنفس الأسطورة، إن الرغبة في الإطاحة بالنظم الفاسدة قد أدت إلى وحدة هذه النظم في مواجهة إيران، ثم كانت الجهود العقيمة لتحرير القدس على رأس الأولويات التي تحولت من خلالها إيران إلى كبش فداء حتى يحصل البعض على قدر من التنازلات من الولايات المتحدة، الأكثر من ذلك امتلكت دول المنطقة الأسلحة الحديثة في حين عوقبت إيران بالحظر حتى تتوقف برامج تطوير الاقتصاد والصناعة.

### **ب-التأثيرات الحقيقية :**

كنتيجة لهذه التوجهات فقدت إيران قواعدها التقليدية والثقافية، فالهند التي كان من الممكن أن تكون حليفاً قوياً أصبحت عدواً حساساً، أما باكستان وهي دولة غير مستقرة بدون أية هوية، فقد نعمت بدعم إيران، وبعد عشرين عاماً، كانت النتيجة المتوقعة هي زيادة نفوذ السعودية في باكستان ومواقف في غاية الوحشية تجاه الشيعة وقتل للدبلوماسيين الإيرانيين في هذا البلد، هذا بالإضافة إلى مناهضة المصالح الإيرانية في أفغانستان، لقد كانت باكستان هي الدولة التي ساعدت طالبان على توليها السلطة في أفغانستان، وكانت السياسة الإيرانية التي توافقت مع الموقف الإيراني المهين في طاجيكستان ودول أخرى في وسط آسيا، قد ساعدت على فتور العلاقات مع هذه الدول وفتح الطريق للنفوذ الاقتصادي والثقافي التركي.

أما على المستوى الدولي، فقد واصلت إيران سياستها العدائية تجاه الولايات المتحدة، الأمر الذي جاء في صالح إسرائيل وتركيا ودولاً أخرى كثيرة، كانت تركيا قد فقدت أهميتها الإستراتيجية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، وفي بحثها عن موقع جديد تستطيع من خلاله أن تحصل على دعم أمريكا، حاولت أنقرة ملء الفراغ الذي خلفته إيران، ووضعت قواعد لها العسكرية تحت إمرة الولايات المتحدة وربحت من ذلك الكثير.

أما إسرائيل، فتحت دعاوي الخوف على نفسها من إيران، واستطاعت أن تسليح نفسها بأحدث نظم الأسلحة التي تستطيع استيعابها، في الوقت ذاته قام السعوديون والخليجيون بدعم علاقاتهم مع الغرب، وأصبحت دبي وأبو ظبي اليوم تتلعبان رؤوس الأموال الإيرانية حيث يذهب الإيرانيون لشراء سلع غربية بأسعار مضاعفة.

وبعد سنوات الحرب حاولت إيران في صراعها مع أمريكا أن تستفيد من علاقتها بأوروبا، لكنها نسيت أنه على الرغم من الصراع القائم بين أوروبا وأمريكا، إلا أن الأولى لا تستطيع أن تتحرك باستقلالية كاملة عن الولايات المتحدة، فقد كانت العلاقات بين دول مثل ألمانيا وإيطاليا قد نمت في إطار المسموح به أمريكياً، أما روسيا واليابان والصين فهم لا يستطيعون مقاومة الإغراءات أو التهديدات الأمريكية، وكان من نتائج هذه التوجهات في عصر العولمة، أن خرجت إيران باقتصاد ضعيف، خالية الوفاض، فليس باستطاعتها أن تقاوم الصراعات الدولية وليست قادرة على ممارسة نفوذها داخلياً ضد الآثار المترتبة على العولمة.

الحل الوحيد لمشاكل الإيرانيين سواء الداخلية أو الخارجية هو العودة إلى منطق المصالح الوطنية والأمة الموحدة، إن قادة إيران عليهم أن يدركوا أن مصدر قوتهم يقبع في إيران نفسها، فكلما توحدت وتدعمت أواصر المجتمع الإيراني كلما ازداد النفوذ الوطني، إن الوحدة الوطنية واتخاذ مواقف في إطار المصالح الوطنية سيحمي الدولة.

ويرى مايكل إيشنستاد أن التحدي الذي يواجه السياسة الخارجية الإيرانية هو الصراع بين القومية الإسلامية والإسلام المدولي من ناحية، والقومية الإيرانية من ناحية أخرى لكنني أعتقد أن هذا الصراع يمكن تخطيه بقبول مبدأ الأولويات.

الراصد

#### 4- ما الذي تمليه الحقائق :

في بعض مراحل العمر قد ينحو بعض الناس باتجاه اتخاذ مواقف متطرفة، لكننا لا ندري إن كان ذلك سيصل بهم إلى بر الأمان، فلم ينسَ الناس بعد، جمال عبد الناصر وشعاراته الطموحة، لكننا نذكر أيضاً ديجول، الذي عندما فشل في الحصول على قبيلة نووية، فكر في المشاركة في قيادة العالم الحر مع الولايات المتحدة، وفيما بعد، قبل جورج بومبيدو القيادة الأمريكية وساعد في العمل من أجل بناء السوق الأوروبية المشتركة باعتبارها وحدة مستقلة عن فرنسا.

فإذا استطاع الفرد أن يحسب نقاط قوته ونقاط ضعفه، فإنه سيرتكب القليل من الأخطاء، من هذه الزاوية فإن إيران تعد بلداً غنياً ثقافياً وتاريخياً ولديها حكومة وطنية مستقلة، هذه العناصر ستؤدي إلى دعم الهيمنة الوطنية، وإيجاد استقرار اجتماعي وثقافي ومكانة سياسية موجهة، إن

إيران تملك أرضاً شاسعة وموارد غنية وموقفاً استراتيجياً يمكن من خلاله أن تصل إلى موقف سياسي محسوب و رؤية أوسع لاتخاذ موقع أفضل كقوة إقليمية مقارنة بدول مثل تركيا والسعودية وباكستان، لذا فإن إيران لا بد لها أن تعمل من أجل الوصول إلى أهدافها، مثل هذه السياسة تستدعي تأكيد إيران على نفوذها الثقافي والاقتصادي والسياسي كل على حدة، فحتى عام 1970 كانت كل الأبواب مغلقة في وجه سياسة إيرانية فاعلة، ففي الشمال قامت الستارة الحديدية وفي الجنوب كانت بريطانيا تقود دول الخليج (الفارسي)، كما كانت مواقف العراق وأفغانستان غير واضحة، المجال الوحيد الذي كان متاحاً من خلال تركيا وباكستان وكلاهما كان مالياً للغرب.

وقد أفسح رحيل بريطانيا المجال أمام النفوذ الإيراني العسكري والسياسي في الخليج (الفارسي) لكن قوة منافسة ظهرت وهي الناصرية التي اعتمدت على القومية العربية واتخذت موقفاً معادياً لإيران، وكانت استعادة العلاقات الدبلوماسية بعد وفاة عبد الناصر، قد ساعد في تخطي أزمة عنق الزجاجة بين الدولتين إلى حد ما، لكن أنظمة يسارية مثل تلك التي قامت في اليمن الجنوبي والبعث في العراق، كانت لا تزال قائمة، ومن جانب آخر كان هناك نوع من المنافسة الخفية بين إيران والسعودية أدت إلى نوع من تقسيم العمل، هذا التقسيم كان مطلوباً لتخفيف حدة التوتر، فقد كانت العلاقات بين إيران والعرب متوترة لقرون طويلة، وكان هناك تنافس - لا زال قائماً - حول قيادة المنطقة بين الرياض ودمشق والقاهرة وبغداد، كما لا تزال هناك مشاكل حدودية وصراعات سياسية لا تسمح لطرف ثالث باتباع سياسة محددة ومستقرة فيما يتعلق بالعالم العربي.

وهناك منطقة أخرى في ذات الأهمية وهي وسط آسيا، كان على إيران أن تنظر بجدية أكبر إلى مشاكل وسط آسيا، فهذه المنطقة تعد الساحة الطبيعية للنفوذ الثقافي الإيراني، وإن لم تعمل إيران بشكل متوازن فسوف تسقط المنطقة في أيدي أعداء أشداء، وقد كانت حكومة طالبان في أفغانستان نموذجاً لمثل هذه الأخطاء التي ارتكبتها إيران، وبعد هذا النموذج حقيقياً خاصة أن إيران محاطة بعدد من الأنظمة غير المستقرة مثل باكستان والعراق، وعلى إيران ألا تسمح لهم بمد نفوذهم إلى مناطق مثل آسيا الوسطى والقوقاز، إن جماعات القومية التركية تعد قوة وفاعلة في تركيا وتعمل على جذب المؤيدين من بين إيران وأذربيجان، بالإضافة إلى ذلك فإن التركيبة العملية لتركيا تفرض مخاطر شديدة باتجاه إيران فالأتراك يعانون أزمة هوية منذ انهيار الإمبراطورية العثمانية، فهم مترددون لا يعرفون إن كان عليهم الاتحاد مع الغرب أو مع العالم الإسلامي أو يميلون مع القومية التركية، إن دخولهم الناتو وتحالفهم مع إسرائيل قد يغريهم باللجوء إلى القوة للخروج من هذا المازق، ويبدو أن باكستان تمر بنفس المازق.

المراد

في مثل هذه الحالات يتعين على إيران أن تتعامل مع قوى أخرى خارج المنطقة, وهناك شائعات كثيرة حول التحالف الإيراني بين إيران والهند, والصين وروسيا, والحل الآخر الذي اقترحه البعض هو دعم الموقف الأوروبي في مواجهة أمريكا, فإذا ما تحالفنا معهم, فإن ذلك سيخلق نوعاً من الرابطة العضوية يمكن أن تحقق مصالحنا جميعاً.

**الانتفاضة الطلابية في إيران  
هل تكون بداية لثورة "شعبية"؟**

## يزيد المتوكل<sup>(1)</sup>

هذا المقال يبين جانباً من الوضع الداخلي في إيران، ويوضح القمع الذي يُمارس باسم الدين ضد الشعب الذي اتخذ بشعارات الثورة الخمينية، إلا أن المقال - برغم ما احتواه من معلومات عن القمع والظلم - يسير وراء الرأي السائد بوجود معسكرين في إيران أحدهما إصلاحي معتدل والآخر محافظ متشدد، في الوقت الذي يرى آخرون أن الجناحين المشار إليهما هما وجهان لعملة واحدة.

الانتفاضة الطلابية المفاجئة التي عمت الشارع الإيراني في منتصف حزيران/ يونيو 2003، كانت أضخم بكثير وأشد خطورة على النظام القائم، بما فيه رئاسة محمد خاتمي المعتدلة، من تظاهرات تموز/ يوليو 1999 التي خلخت جدار التشدد وأحدثت فيه ثغرات واسعة وعميقة، استطاع الاصلاحيون النفاذ منها لتسلم مقاليد الحكم الظاهرية، فيما استمر في حقيقته واقعاً تحت رحى جماعات قم والمدارس الدينية المتشددة التي ترفض إدخال أي إصلاحات على مفاهيمها القديمة، في الوقت الذي يشهد العالم أجمع انفتاحية جذرية في أسلوب وممارسات الحكم.

### الطلاب في إيران؟

يمثل الطلاب في إيران منذ 1979 قوة فاعلة كبرى، تدعم اليوم الرئيس محمد خاتمي. لكنهم يزدادون إحباطاً، مع الأيام، نظراً إلى تعثر الإصلاحات وتصفية المثقفين، على أيدي المتطرفين الدينيين من دون محاسبة، وغياب الوظائف للخريجين، الأمر الذي نشر البطالة في البلاد، بشكل غير مسبوق. ويتهم الطلاب المحافظين في أجهزة الأمن والقضاء ومجلس الشورى بممارسة الضغوط والعنف، لفرض السيطرة الصارمة على الجامعات والمؤسسات والحياة، وأكد مدافعون عن حقوق الإنسان.. أن عشرات من الطلبة أعدموا بلا رحمة، في غير مناسبة وبدون محاكمة.

### ملاحظات مستمرة!

يلاحق أفراد "الباسيج" .. وهم متشددون، الطلاب في جامعاتهم، ويعملون باستمرار على جذب الإصلاحيين إلى صفوف المحافظين، مستخدمين التهديد حيناً، والإغراءات أحياناً. وبدا المجتمع الإيراني منقسماً على ذاته، في كل المجالات: من ساحة الطلاب، إلى عنابر القضاء، إلى حوزات الدين، ووسائل الإعلام، وغيرها. وكثيراً ما تهاجم الميليشيات الإسلامية تجمعات الطلاب، التي تنادي "ليرحل المتطرفون من إيران" وهدد خامنئي "الإصلاحيين باللجوء إلى القوة المفرطة لمواجهة التوتر المتزايد في الجامعات، الذي بدأ يرداً على حكم الإعدام بحق المثقف الاصلاحى "هاشمي آغا جاري"، وقد أعيد النظر في هذا الحكم، تحت الضغط الطلابي العام.

الراصد

<sup>(1)</sup> مجلة الشريعة (الأردن) أغسطس 2003 - العدد 452.



## النفق المظلم

رئيس الميليشيا "الباسيج" قال: إنه سيملاً الشوارع بالملايين من العناصر المتطرفة, ورد الإصلاحيون, على لسان جاسم شهيد زادة: "إذا كانت المسألة إنزال الشعب إلى الشارع, فنحن أيضاً قادرين على القيام بذلك".

ومن عادة الطلاب الثائرين على (الثورة الخمينية) أن يرددوا: "الموت للطغيان" و"إيران أصبحت فلسطين". وغالباً ما يهاجمون السلطة القضائية, والرئيس السابق "رفسنجاني". وذهب بهم اليأس إلى حد مطالبة "خاتمي" بالاستقالة, بعد سلسلة إخفاقات في تعديل القوانين لمزيد من الديمقراطية, أو في الحد من تأثير الميليشيات المتمتعة, والتي وصفها أحد الإصلاحيين بـ "المافيات السرية".

## الحرية أو الموت

طالما هتف الطلاب, وهم يُقاومون "أنصار حزب الله" و"الحرس الثوري" والأشباح الأخرى: "الحرية أو الموت", ولحظ عبد الله نوري (رئيس المجلس البلدي في طهران) أن المحافظين, ومنذ انتخاب "خاتمي" وهم يمارسون أعمال العنف ضد تجمعات الطلاب, وضد شخصيات تمثل الأفكار الجديدة.. الحوارية المنفتحة وتوجه الطلاب إلى "خامنئي" مرشد الجمهورية, بمجموعة أسئلة تشكك في سلطته, وأرسل الإصلاحيون رسائل يحذرون فيها من "ثورة جديدة" ويدعون المسؤول الأول في النظام إلى لجم الأصوليين, ومحاولة فهم التهديدات الأميركية الجديدة, بعد الحرب على العراق. وكانت ردات الفعل مزيداً من التشدد والتوعد, سواء بالنسبة إلى إصلاحيي الداخل, أو بالنسبة إلى المتغيرات الدولية والإقليمية!

الراصد

## استقالات احتجاجية

كرر الطلاب المتظاهرون, وهم يحملون صور الرئيس خاتمي: "أنصار حزب الله ارتكبوا جرائم والمرشد يؤيدهم". ومعروف أن رئيس جامعة طهران, ومدراء 18 كلية في الجامعة, كانوا قد قدموا استقالاتهم احتجاجاً على القمع الذي تعرض له الطلاب في طهران ومشهد وأصفهان وتبريز وغيلان, وغيرها.

ومن عادة "الباسيج" تكرير ما يقوله "طالبانيو إيران" عن كون الانفتاح والحوار, بإزاء الغرب, يعنيان الإرتهان للخارج, وعلى الثورة (الإسلامية!) أن تتخلص من أعداء الداخل الراغبين إلى تغيير في مسارات الثورة (الخمينية). ومن هنا العبثية الإيرانية واستحالة تحقيق الإنجازات والإصلاحات داخل الدولة والنظام, خصوصاً بعد الحملة الشرسة التي شنّها التيار المحافظ لإسقاط مشروع قانون تحديد صلاحيات رئيس الجمهورية الدستورية, وتعديل قانون الانتخابات.

## نظرية المؤامرة!

إن أبرز ما شغل الطلاب، منذ عامين، تمثل في الأمور التالية: عمل مراكز القوى غير المُنتخبة، أهلية النظام وإمكان إصلاحه تغيير الدستور، العلاقة مع أمريكا، النظام السياسي المطلوب.

ولكن، كل اجتهاد فكري، إصلاحي، عقلائي، خارج حدود رجال الدين، يوصم بأنه حركة "مخدوعة من قبل أمريكا" وقد شكّا "رفسنجاني" في إحدى خطبه، من الإفراط في الأسئلة، التي يطرحها الشباب، لشعوره بأن النظام لا يملك دائماً أجوبة عليها! وفي إيران اليوم فئات طلابية ثلاث: أولى تقبل بالسلطة الدينية وتؤمن بولاية الفقيه وبالنظام السياسي القائم، وثانية لا تعترف بالنظام، وثالثة إصلاحية تنتقد السلطة السياسية وتتطلع إلى مستقبل علماني.

### ما بين الأمس واليوم

لقد كان شعار رفض الأجنبي هو السائد بين الطلبة، عندما احتلوا السفارة الأميركية في طهران، لكن سرعان ما صدموا عندما غيرت السلطة سياستها الخارجية، حيال الغرب، ودول على علاقة متينة بالولايات المتحدة، وعندما نشأ حوار بين إيران وأمريكا، ونما كثيراً، في السر خصوصاً، بعد سقوط (طالبان) في أفغانستان.

وتضم الفئة المتعاطفة مع النظام الديني: "الجامعة الإسلامية للطلبة"، "الجمعيات الإسلامية للطلبة الجامعيين"، "الباسيج الطلابي"، أما الذين لا يعترفون بالنظام السياسي فمعظمهم من المثقفين المنفصلين عن نظام الجمهورية الإسلامية، إضافة إلى القوى الطلابية الجديدة المنتمية إلى الأوساط الفكرية والثقافية، العلمانية والإسلامية ويضم القسم الثالث الطلبة الجامعيين العاملين تحت شعار الديمقراطية والحرية، ويُعرفون بتيار الثاني من خرداد (وخرداد هو الشهر الإيراني الذي انتخب فيه "خاتمي" للرئاسة الأولى عام 1997) ويطالب هؤلاء بإطلاق السجناء، وحرية التعبير، وبحرية المطبوعات، ويريدون حرياتهم الثقافية، وحق الاجتماع وإلقاء المحاضرات وممارسة النشاطات الفكرية مهما كان لونها، كما ألحوا دائماً على حظر دخول قوى الأمن إلى الجامعات، والسماح للطلاب بالتحرك في مجالات السياسية والاجتماع.

### مجابة.. مجابهة...

غالباً ما اتبع الإصلاحيون الطرق القانونية في عرض مطالبهم لكنهم جوبهوا دائماً بالقمع من جانب الميلشيات وأجهزة الأمن والقوات الحكومية المتمركزة في الجامعات وآخرها كان هجوم 1999، ثم تكرر في غير مناسبة، وبدا أن الزمان لم يعمل لصالحهم بعد الحرب على الإرهاب، واعتبار إيران محوراً للشر، وتهديد "خامنئي" بإقصاء مسؤولين يدعمون الليبراليين ويشجعون الانفتاح على الأمريكيين، أضف أن المحافظين نجحوا في شق مكتب تعزيز الوحدة (المؤسسة الطلابية)، وفي زعزعة التوافق الداخلي فيه، وبالتالي اختراقه، والتمكن من الفوز في مدينة شيراز (جنوب إيران)، حيث انسحب الإصلاحيون ومع أن وزير العلوم والبحث والإبداع، اعترف بقيادة التيار الإصلاحي للحركة الطلابية، فإن التيار المحافظ يملك السلاح والقوة، في مقابل الكلمة الحرة التي يملكها الآخرون.

## تكميم الأفواه وكسر الأرقام

عندما حملت "الطروحات الإصلاحية" محمد خاتمي إلى كرسي رئاسة الجمهورية، استتبشر أرباب الصحافة وأصحاب الفكر، واعتبروا "نجاح" خاتمي بمثابة الانتصار للشعب الإيراني المتعطش للحرية والديمقراطية.

بيد أن أعضاء "جمعية الائتلاف الإسلامي" وهي جمعية دينية-سياسية تحكم إيران من وراء الكواليس وتسيطر على كل الجهاز المتشدد بمن فيهم المرشد "علي خامنئي" نفسه، شتموا عن سواعدهم لصد أية رياح للحرية الفكرية يمكن أن تهب على إيران، فعمدوا إلى إغلاق العديد من الصحف ذات النهج الليبرالي وزجوا بكتّابها في السجون، حتى أن الحملة لم توفر صحيفة "زان" التي تملكها النائبة فائزة رفسنجاني (الابنة الصغرى للرئيس السابق هاشمي رفسنجاني)، فلقد أغلقت الصحيفة وقدمت نائبة طهران "فائزة رفسنجاني" للمحاكمة لأنها تجرأت على نشر سطرين من رسالة وجهتها الأميرة "فرح ديبا" إلى الشعب الإيراني بمناسبة رأس السنة الإيرانية (في 21/4/1999)، وفي هذه الرسالة عبّرت "فرح ديبا" عن قناعتها بانتصار الشعب وخصوصاً الشباب الإيراني!!!

بل ونشطت "ماكينة" المحافظين في محاولة تشويه صورة النائبة رفسنجاني، فقامت الصحف التابعة للتيار المتشدد بالادعاء، بأن السيدة "فائزة رفسنجاني" استغلت إحدى زياراتها للقاهرة للصلاة على قبر الشاه في مسجد الرفاعي! واضطرت ابنة رفسنجاني لتصحيح المعلومة مشيرة إلى أنها لم تقم سوى بزيارة للمسجد الكبير في القاهرة ضمن برنامج رسمي.

هذا غيض من فيض مما نال أرباب الفكر وأصحاب الصحافة من جور التيار المتشدد.

### تأخذهم العزة بالإثم!

وعودة إلى موضوع "انتفاضة الطلبة" وتداعياتها، فقد أفادت الأنباء بأن قاضي طهران "سعيد مرتضوي" نقل مكتبه إلى مقر استخبارات السلطة القضائية داخل سجن (آيفين)، بعدما كلفه مرشد الثورة "علي خامنئي" بمعاملة الطلبة المحتجين على (حكم رجال الدين) بقسوة.

وكان "مرتضوي" قد عين قبل فترة وجيزة مدعياً عاماً لطهران، وسط احتجاج العشرات من القضاة الذين يعتبرونه غير مؤهل لتولي منصب قضائي هام كهذا.

"مرتضوي" انتقل إلى نفس الغرفة التي كان يجلس فيها أسد الله لاجوري المدعي العام الثوري المعروف الذي اغتيل قبل أربعة أعوام على أيدي حركة "مجاهدي خلق" انتقاماً لدوره في حملات الإعدام التي طالت عشرة آلاف شخص بين العامين 1981-1989.

وفي خرق للدستور الإيراني الذي يلزم القضاء بالإفراج عن المعتقلين بعد 24 ساعة من حبسهم، أو توجيه اتهام محدد إليهم بحضور محاميهم... أمر "مرتضوي" بمواصلة اعتقال ما يزيد عن 390 طالباً ومنتظهاً ممن اعتقلوا خلال المظاهرات التي بدأت في طهران وتوسعت رقعتها ووصلت

إلى مدينة "قم" العاصمة الدينية لإيران ومركز الثورة الخمينية قبل 25 عاماً.

ومما تجدر الإشارة إليه بأن سكان مدينة (همدان) يعيشون أجواء متوترة منذ أكثر من خمسة شهور، عقب صدور حكم إعدام الدكتور هاشم آغا جري (المفكر والأستاذ الإسلامي) بسبب خطاب ألقاه للطلبة في (همدان) أعلن فيه أن الشعب الإيراني ليس قرداً كي يقلد من يعطي لنفسه لقب "مرجع التقليد"، وانطلقت المظاهرات الصاخبة في جامعة بو علي، ردد خلالها الطلبة شعارات عنيفة المضمون ضد "الولي الفقيه" .. أي "علي خامنئي" ورجال حكمه، كما طالبوا "محمد خاتمي" بالاستقالة لنزع "ورقة توت الشرعية عن جسد النظام المتعفن" .. حسب إحدى الشعارات.

وخلال انتفاضة الطلبة، قام حوالي 150 من أنصار "حزب الله" مدعومين من قبل عناصر الفيلق الخاص (الكوماندوس) للحرس الثوري، بمهاجمة المجمع السكني لطالبات جامعة (تبريز)، وتعرضت الطالبات لممارسات عنيفة.. حسب ما جاء في كلمة النائبة "فاطمة حقيقت" أثناء الجلسة العلنية لمجلس الشورى الإسلامي (البرلمان)، التي وصفت أعمال أنصار "حزب الله" بأنها كانت أسوأ من جرائم جنكيز خان وجيشه، وقالت النائبة وسط ضجيج نفر من أعضاء كتل النواب المحافظين: "لقد شرح لنا بعض الطلبة الأعمال الوحشية التي قام بها بلطجية أنصار حزب الله والأوباش الذين كانوا يضربون الطلبة ويطعنونهم بالسكاكين ويرددون: يا حسين يا زهراء... لنحول الجامعة إلى كربلاء!!!"

### التقية.. في السياسة

في وقت سابق من العام المنصرم 2002 عمدت إيران -بحذر- إلى المس بعقيدة ولدت مع ولادة الجمهورية نفسها، إذ أعلنت رسمياً أنها لا تعارض تعايش دولتين فلسطينية وإسرائيلية.. مدفوعة إلى ذلك بقلقها من أن تجد نفسها معزولة بفعل حرب ضد العراق.

لقد قال الناطق باسم الخارجية الإيرانية (يوم 16/10/2002): "نؤمن بدولة فلسطينية ولكن إذا اتفق الفلسطينيون والإسرائيليون على حل آخر فلن نعارض، بل سنوافق على مشاركة اليهود الإسرائيليين في تقرير مستقبل المنطقة".

إن هذا "التلين" في الموقف الإيراني ليس هو الوحيد أو الأخير فها هي طهران تتقزم أمام تهديدات أمريكا التي سبق ووصفها "الخميني" بالشيطان الأكبر، وقال بأنه تجرع السم عند قبوله قرارات الأمم المتحدة بوقف الحرب ضد العراق، أفليس عجيباً -اليوم- أن يصبح شرب السم -عند خلفاء الخميني- مثل شربة الماء.

في المقابل فإن الإدارة الأميركية تصف إيران بأنها أحد أضلاع محور الشر، ومخاوف أمريكا من إيران ترجع إلى أمور رئيسية ثلاث:

أولها الخوف على إسرائيل من المفاعل النووي الإيراني في منطقة "بوشهر"، وثانيها تورط إيران في دعم جماعات عراقية "شيوعية" متطرفة

لاستلاب الحكم وجعله صورة عن مثيله في إيران, وثالثها إيواء جماعات إسلامية متشددة تابعة لتنظيم "القاعدة".

الراصد

### تصدير الثورة

لقد استبشر العرب خيراً في ثورة 1979 التي أطاحت بالشاه, وتوقعوا أن تبني الجمهورية الإيرانية أحسن العلاقات مع الدول العربية, وانتظروا بإدرة حسن نية في حل قضية الجزر الثلاث (طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى) بإعادتها لدولة الإمارات العربية المتحدة, بعد أن جرى

اغتصابها في زمن العهد البائد<sup>(1)</sup>، وكذلك معاملة العرب "السنة" في إقليم  
عربستان "الأحواز" بالحسنى إن لم نقل إعطاء هذا الإقليم المسلوب  
استقلاله.

بيد أن الحكام الجدد أبقوا على التعسف الذي كان، وزادوا عليه التدخل  
في شؤون الدول العربية ومحاولات زعزعة الاستقرار فيها، لا سيما دول  
الخليج، من خلال ما عرف بشعار تصدير الثورة.

وإن الحديث في هذا المجال يطول ويطول وينكأ الجراح سيما أن  
ذكرت الشواهد، وهي كثيرة، وقد انكوى بنار المخابرات الإيرانية أكثر من  
قطر عربي، وتعرضت تركيبته الاجتماعية للقلقل والاضطرابات منهم.

واليوم.. تتعرض إيران لحملة إعلامية قد تليها هجمة عسكرية من قبل  
الولايات المتحدة والدول التي ستتحالف معها، فحري بالجمهورية الإيرانية  
أن تتخلص من كل الذرائع التي جعلتها في مرمى سهام الاتهامات.

### الانفجار... آت

إنها حالة إيرانية قابلة للانفجار، ولا سيما في أوساط الجيل الجديد،  
الذي لم يعد يثق بما قدمته (الثورة) بعد سقوط الشاه، عام 1979. فالجيل  
الأول أسقط الشاه، وأقام النظام الديني بواسطة العنف والسلاح، وجاء  
الجيل الثاني في ظل الحرب العراقية-الإيرانية (1980-1988) وسط 270  
ألف جثة و 50 ألف جريح في الجانب الإيراني، وهو مُحبط، خائب، يائس.  
أما الجيل الثالث فيتراوح عمره ما بين 16 و 30 سنة، فهو نشأ وكبر في  
ظل نظام حكم (الملاي)، ويزيد عدد المنتمين إليه عن 18 مليوناً، مليونان  
في الجامعات و 4 ملايين لم يُكملوا دراساتهم الجامعية، ومعظم هؤلاء لا  
يُحبذ (ولاية الفقيه) وليس معجباً برجال الدين الذين يديرون سياسة البلاد  
بشكل لا يتفق مع الديمقراطية.

ويقول المراقبون: إن الجيل الثالث، هذا، هو الذي يقرر مستقبل البلاد،  
وهو يُعاني اليوم.. البطالة والعزلة، ويرغب في الانفتاح على العالم  
الخارجي.

إن هذا الجيل لا يستعدي الدين، لكنه غير راغب في لعب دور الغنم.  
وهذا الأمر كان أشار إليه الإصلاح "هاشم أاجاري" عندما نصح بعدم  
السير وراء (الملاي) بشكل أعمى. وهذا الجيل ينقل إيران إلى مزيد من  
الليبرالية، وإلى أضعاف الثيوقراطية. ولكي يتم له ذلك لا بد من أن يواجه  
التطرف بالحكمة والوعي، مستفيداً من المتغيرات الدولية والإقليمية، فهل  
ينجح؟ أم أن التيار المحافظ مقدم على تطبيق شعار "عليّ وعلى أعدائي"..  
ومهما كانت النتائج؟

لقد نصح 163 نائباً، ومعهم أكثر من مئة مثقف، ومدرس حوزة،  
وصحافي، وكاتب.. نصحوا مرشد الثورة الإيراني علي خامنئي بترك سياسة  
القمع، واحترام آراء الـ 20 مليون الذين انتخبوا محمد خاتمي والعمل على

(1) تم احتلال هذه الحزر وغيرها من الأراضي العربي سنة 1971، وأعدت إيران في ظل  
الثورة احتلالها سنة 1992، وحتى الآن! -المحرر-

ردع الخطر الأميركي, باعتماد نظام قائم على الحرية والديمقراطية,  
وحسن الجوار مع الآخرين بدلاً من سلبهم أراضيهم وحقوقهم.  
ولكن..... هل نقول يوماً: على نفسها جنت براقش؟!

الراصد

**المرجعية الشيعية في إيران والعراق  
(الماضي والحاضر)**



## رسول جعفریان<sup>(1)</sup>

يلقي المقال الضوء على تطور المرجعية لدى الشيعة، والصراعات التي تنشب في إطارها بين الحين والآخر، ويعرض كاتب المقال -وهو شيعي إيراني- لعلاقة المراجع والحوزة بالأنظمة الحاكمة، وعلاقتهم بالمواطنين، وكيف أنهم يلجأون إلى التلاعب بفتاواهم من أجل كسب المزيد من الأنصار.

وفي الجزء الأخير ينبه إلى الظروف الدولية الحالية التي تساعد على انتشار المد الشيعي، وضرورة الاستعادة منها لنشر المذهب الشيعي، وهو الأمر الذي ينبهنا إلى أن فكرة تصدير الثورة ما زالت حاضرة في وجدان الشيعة وفي تفكيرهم.....المحرر.

تعتبر المرجعية الدينية في إيران والعراق من القضايا التي حظيت باهتمام المفكرين والعلماء المسلمين. وحقيقة الأمر أن مذهب التشيع قد انتقل في القرن الأول والثاني من العراق إلى إيران، ففي القرن الثاني كانوا يطلقون علي قم الكوفة الصغرى، وفيما بعد أصبحت قم رويداً رويداً مركزاً علمياً هاماً، وكانت مدينة الري هي المركز التالي، لكن ظهر مرة ثانية كبار مراجع الشيعة في بغداد ثم في النجف.

وقد جمع الشيخ الطوسي المتوفى عام 1039م والذي كان يعيش في البداية في العراق ثم انتقل إلى النجف شمل المرجعية الشيعية، فقد كان تلاميذه متفرقين في كل مكان، ثم تولى بعده ابنه أمر هذه المرجعية، وفي ذلك الوقت كان الشيعة الإيرانيون يذهبون للدراسة في النجف ثم يعودون إلى مدينة الري، ومنها يتم ضخ الدماء الجديدة في جماهير الشيعة الإيرانيين، وقد كانت مدينة الري واقعة تحت السيطرة العلمية لمدينة النجف وذلك حتى القرن الحادي عشر الميلادي.

وفي القرن الحادي عشر الميلادي عرفت رويداً رويداً مدينة الحلة كمركز للشيعة، ويرجع الفضل في تمتع الحلة بصفة المرجعية التقليدية للمحقق الحلي ثم خلفه العلامة الحلي، وقد كان للعلامة الحلي تلاميذه من الطلبة الإيرانيين الذين كانوا يروجون كتبه الفقهية في إيران، وهكذا ظلت مدينتا الحلة والنجف مركزاً للتشيع الفقهي حتى عصر الصفويين.

### الصفويون والقاجاريون:

ومع بداية العصر الصفوي وهجرة الفقهاء العرب تدريجياً إلى إيران حظيت إيران بالمركزية الشيعية، لكن الأمر استغرق قرناً من الزمان حتى تحولت أصفهان إلى قاعدة للتشيع والمرجعية، وفي هذا الوقت لم تكن أهمية النجف تقارن بأهمية أصفهان.

<sup>(1)</sup> ( ) مختارات إيرانية - العدد 37 اغسطس 2003 / نقلاً عن بازتاب (صدى) 8/7/2003.

وقد أدى انتهاء العصر الصفوي واضطراب الأوضاع في إيران إلى انتقال المرجعية مرة ثانية إلى العراق، وكان السبب الرئيسي وراء هذا الانتقال هو وجود العتبات المقدسة، وكان من الطبيعي أن تجتذب العراق الطلاب والعلماء.

وفي العصر القاجاري تم تقسيم المرجعية بين العراق وإيران، وحتى عهد ميرزا شيرازي، كانت هناك إمكانية الاستفسار الفقهي عن المرجعية المطلقة، لكن بعد ذلك أصبح من الصعوبة بمكان الحديث عن المرجعية المطلقة، وكان المراجع المحليون موجودين حتى نهاية العصر القاجاري. لكن على أية حال كانت المرجعية قد أصبحت متمركزة في العراق خلال العصر القاجاري، وربما لم يوجد مرجع ذا أهمية في إيران بعد ميرزا قمي الذي كان فقيهاً من الطراز الأول وظل الأمر كذلك حتى عهد آية الله بروجردي.

وكان صاحب الجواهر والشيخ الأنصاري وميرزا شيرازي ثم المرحوم آخوند خراساني وسيد أبو الحسن الأصفهاني قد استقر بهم المقام في النجف، وكان يوجد عدد قليل من المراجع المحليين في المدن الإيرانية.

واستمر هذا الأمر حتى بعد وفاة آية الله الأصفهاني إلى أن عرف آية الله بروجردي كمرجع في إيران، وظل صاحب المرجعية المطلقة حتى عام 1340، وكان هذا بعد حوالي قرنين من الزمان على خروج المرجعية من إيران، ويعد هذا الأمر تطوراً هاماً بالنسبة للآخر.

وبعد وفاة آية الله بروجردي، عمل الشاه على أن يوجه الشعب نحو آية الله حكيم الذي كان في العراق، وكان هناك في النجف مراجع آخرون أيضاً، لكن عمل عدد من صفوة الطلاب في قم على أن يحافظوا على المرجعية كأداة لمواجهة الشاه في إيران.

الراصد

## العرب والعجم:

وكان الجدل على أشده في هذه الفترة بين العرب والعجم، وكان الشاه يعمل على إذكاء هذا الجدل، وأدى هذا الأمر إلى أن يصر الإيرانيون على أن تكون لهم مرجعية إيرانية، ومن المؤكد أنه بسبب صغر سن الأشخاص الإيرانيين الذين كانوا مرشحين للمرجعية لم يصل أحد منهم إلى حد المرجعية المطلقة، وكانوا عدداً كبيراً إلى حد ما، ولم يتهيأ المجال للتركيز على شخص واحد، وكان كثير من الشعب يقلد مراجع النجف، خاصة وأن أحد المراجع الذي كان مطروحاً في هذا الصدد، أي آية الله الخوئي كان يقيم في النجف وهكذا كانت النجف تتمتع بأهمية خاصة لدرجة أن حلقة درس آية الله الخوئي كانت تضم عدداً كبيراً من الطلاب والفضلاء، حتى أنه

كان يتصور أنه أعلم من المراجع الموجودين في قم، ومن المؤكد أن الطلاب كانوا يلعبون دائماً الدور الأول في انتشار المدارس الفقهية.

ومع بداية الثورة الإسلامية وتولي الإمام الخميني منصب الزعامة، ترسخت مرجعيته بشكل قاطع في إيران، لكن رجال الدين التقليديين الذين كانوا يمثلون آية الله الخوئي مع بعض المراجع المحليين، مع أنهم واقعون تحت الضغط، قد قاوموا في كثير من الأحوال تلك التطورات، وتشهد قوافل حج العشرة المباركة بعد الثورة أن 90% من الزائرين كانوا من مقلدي الإمام الخميني، وفي هذه الفترة كانت معارضة آية الله الخوئي بين الثوار واسعة النطاق وقد ظل الشعب المتأثر بالثورة واقعاً تحت هذا التأثير.

من المؤكد أن الحرب قد زادت من اتساع الهوة بين إيران والعراق، ومما لا شك فيه أن مقلدي آية الله الخوئي لم يعيروا هذه الهوة أي اهتمام، لكن كان واضحاً أن هذه الهوة كانت أخذة في الازدياد.

### جذور إيرانية:

وفي هذا الوقت حدث تطور آخر في العراق وهو أن المراجع الذين كانوا في العراق كانوا بالأساس ذوي جذور إيرانية، وقد عمل حزب البعث بعد آية الله الخوئي على أن يقضي على المرجعية الإيرانية التي كانت قائمة في العراق، وقدم مرجعاً عربياً يدعى سيد محمد باقر الصدر وكان يوجد معه مراجع آخرون مرشحون للمرجعية بعد آية الله الخوئي من بينهم آية الله سيد مرتضى بروجردي، ميرزا علي غروي، بهشتي، وسيستاني.

### الخوئي والسيستاني:

وفي العقد الماضي توجه المقلدون والأتباع التقليديون لآية الله الخوئي ومدرسة النجف إلى خليفته، أي آية الله سيستاني، وفي هذا الوقت توفي آية الله كلبايكاني وآية الله آراكي اللذان كانا يعدان آخر حلقة في حلقات المراجع الإيرانيين بعد آية الله بروجردي، وأصبح الطريق ممهداً أمام المراجع التاليين، وقد طرح بعض هؤلاء المقلدين وبتوجيه عدد من رجال الدين التقليديين الذين كانوا يريدون أن تكون المرجعية في داخل إيران، اسم سيد محمد روحاني تلميذ آية الله الخوئي الذي كان يقيم في قم، والواقع أنه في هذا التوقيت طرح نوع من الاختيار بين إيران والعراق، ومن المحتمل أنه كانت هناك أسباب سياسية لذلك، ومع وفاة سيد محمد روحاني توجه هؤلاء الأشخاص أيضاً إلى آية الله سيستاني.

ومما لا شك فيه أنه مع وفاة آية الله كلبايكاني وآية الله آراكي ولأنه لم يكن هناك مرجع قوي داخل إيران فقد تهيأ السبيل إلى حد ما لانتقال المرجعية من إيران إلى العراق، وفي هذا الوقت ومع تقديم ثمانية وجوه مرة واحدة من جانب جمعية مدرسي قم فقد حدث ثراء في المرجعية الداخلية خاصة وأن كل الأفراد كانوا معروفين في إيران.

وعلى الرغم من نشاط مكتب آية الله سيستاني في إيران واجتذابه عدداً من القوى المتدينة التقليدية فقد زاد تدريجياً عدد المقلدين لبعض المراجع في قم، وتوجه عدد كبير إلى آية الله تبريزي وخاصة آية الله فاضل وصافي الذين كان لهم وجود مشرف في الأعمال الثورية والحكومية،

وتوجهوا أيضاً إلى آية الله مكارم. وإلى جانب المكانة التقليدية لهؤلاء المراجع، توجه عدد كبير من مؤيدي الثورة الإسلامية في الداخل والخارج إلى زعيم الثورة كمرجع لهم.

وقد ظل الوضع قائماً حتى احتلال العراق والقضاء على صدام، والأهم من كل هذا أن المرجعية المطلقة لم تتبلور لا من مراجع العراق ولا من مراجع إيران.

ثمة نقطة جديرة بالاهتمام في هذا الصدد، وهي أن النجف على مدى الثلاثين عاماً الماضية كانت تستفيد من ثرائها السابق، وكانت قد فقدت شخصين أو ثلاثة تقريباً من هذا الرصيد الذي كانت تملكه، والواقع أن الأشخاص الذين كانوا في مرتبة المرجعية كانوا قلة قليلة، ومن بين المراجع الأساسيين في العراق اليوم يمكن ذكر آية الله سيستاني وآية الله حائري وآية الله مدرسي، ومع هذه الحالة فإن مستقبل مرجعية النجف غير واضح، فعلى مستوى العلماء الفضلاء قتل عدد كبير وهاجر آخر إلى بلاد أخرى، بينما عاد عدد محدود من هؤلاء الذين خرجوا من العراق، وقد أصبح عدد الطلاب بسيطاً جداً، ووضح أنه لا يمكن بسهولة إعداد طلبة متميزين، وعقد الأمل على أن يخرج من بينهم مرجع، والواقع أن النجف تستطيع بمفردها ويجب أن تعتمد على ماضيها في أن تضع برنامجاً لإعادة بناء نفسها على مدى عقدين أو ثلاثة عقود من الزمان.

### **المكانة التقليدية للمرجعية الشيعية:**

بلورت وطورت المرجعية الشيعية مكائنها في المجتمع الشيعي على مدى فترة من الزمان تصل إلى 1200 عام، وإذا لم نقف على حقيقة هذا التطور، فلن يكون بالإمكان الوصول إلى الجذور الأساسية لهذه المكانة أو التخطيط لها مستقبلاً.

### **الاجتهاد والمجتهد:**

ربما يعد أهم منعطف في هذا الملف هو الرؤية التي تطرح بخصوص موضوع الاجتهاد والتقليد في الفقه الشيعي. وهذا الأمر على الرغم من أن له أصولاً في النص القرآني والأحاديث النبوية، لكن قام العلامة العلي المتوفى عام 1305 بوضع النظرية التي أصبحت أساساً للتطبيق، وطبقاً للضوابط التي وضعها تحول مفهوم الاجتهاد والمجتهد والذي كان على مدى عصور طويلة غير مستساغ إلى مفهوم مقدس، وكان من المتعين على المقلدين اتباعه.

لم تكن هذه التبعية في الجوانب العلمية فقط، بل إنها وطبقاً للمبادئ التي تم الاتفاق عليها فيما سبق بخصوص نيابة المجتهد عن الإمام المعصوم اتخذت الجانب الأكثر عملياً، النقطة الأهم تتمثل في أنه لا يجب فقط على المقلد أن يتبع المجتهد بصفة عامة، بل إنه يجب أن يعمل برأي وعقيدة المجتهد، وقد أدى هذا الأمر إلى أن تصبح العلاقة بين المجتمع الشيعي والمجتهد أكثر قوة.

الراصد

أما المنعطف الثاني فهو التطور الذي حدث في العصر الصفوي، ففي بداية هذا العصر وضع المحقق الكركي المتوفى عام 1519 أسساً جديدة لإحداث تطور في مكانة المرجعية الشيعية في المجتمع الشيعي وربما كانت هذه هي الخطوة الأولى لبحث إقامة صلاة الجمعة التي وطدت مكانة المجتهد كنائب عن إمام الزمان "ع" على مستوى المجتمع، لأنه منذ القدم كان شرط إقامة صلاة الجمعة هو استئذان الإمام المعصوم، وكان هذا الأمر في عهد الغيبة هو من اختصاص المجتهد.

وبالإضافة إلى المحقق الكركي الذي كان يتبع مدرسة الحلة طرحت مسألة ضرورة اتباع وتقليد المجتهد الحي من قبل فقهاء مثل الشهيد الثاني المتوفى عام 1544.

وفي نهاية العصر الصفوي تم استحداث لقب "مجتهد الزمان" وكان يستخدم بدلاً من آية الله العظمي، وكان المقصود به الشخص الذي ينوب عن الإمام. وفي العصر الصفوي أيضاً وبشكل عملي تم وضع وتحديد المناصب الدينية بالنسبة للعلماء، وقد أصبحت هذه المكانة أكثر قوة.

### عودة المرجعية إلى العراق:

وفي العصر النادرى الأفشاري ومع الاضطرابات التي وقعت في هذا العصر حدث تغيير في الأوضاع الدينية الجارية في المجتمع الشيعي، فقد تحولت المرجعية من إيران إلى العراق، وترتب على ذلك أن انفصل واستقل المجتهدون عن الحكومة.

### تمويل الحوزات:

النقطة الأهم هو أنه منذ ذلك الوقت وما تلاه أصبح مصدر تمويل المجتهدين والطلبة لا يعتمد على الأوقاف، بل حل محلها وبشكل جاد سهم الإمام وكان هذا المصدر مستقلاً، قبل ذلك كان يتم تأمين دخل العلماء من الدخل الذي كان يحصل عليه الصفويون نتيجة لاستيلائهم على دخول الأوقاف، وفي النصف الأول من العصر القاجاري توقف هذا الدخل وحل محله بشكل فعلي سهم الإمام، ومنذ ذلك الوقت والحوزات العلمية تدار من خلال ميزانية مستقلة ليس للحكومة أي نوع من السلطة عليها.

وفي نهاية العصر القاجاري ومع كل هذه العلاقات التي كانت بين المرجعية والحكومة كان هناك مبدأ هام هو أن المرجعية ترتبط ارتباطاً مباشراً بجمهير الشعب. من المؤكد أنه بسبب التعارض الذي حدث بين مصالح طبقات الشعب المختلفة وخاصة طبقة دافعي سهم الإمام والحكومة القاجارية التي تتحرك باتجاه منح الامتيازات للأجانب، مما يؤثر سلباً على الاقتصاد الوطني، اتسعت الهوة بين رجال الدين والحكومة.

وقد ازدادت هذه الهوة اتساعاً مع بدء تيار الحداثة في المطالبة بالحياة النيابية، لأنه في هذه المرة لم تمنح الحكومة امتيازات اقتصادية للدول الأجنبية فقط، بل إنها عملت على الترويج للعادات والتقاليد والثقافة الجديدة التي هي من وجهة نظر العلماء غير دينية.

ومن هنا كان لجوء رجال الدين إلى الشعب قد اتخذ شكلاً أكثر وضوحاً، وفي المقابل لم يجد معارضو الحكومة والحداثة أيضاً ملجأ إلا رجال الدين،

ولم يكن هؤلاء المعارضون من بين المثقفين، بل كانوا من بين عامة طبقات المجتمع والتجار الذين كان انفصال أبنائهم عن رجال الدين يتزايد يوماً بعد يوم.

### عهد رضا خان:

وكان عصر رضا خان هو قمة الانفصال بين رجال الدين والحكومة، فكان التشدد الذي يمارس مع رجال الدين سببه المساوئ التي حاقت برجال الدين على مدى فترة طويلة، ومن ناحية أخرى، أصبح الظلم الذي جعل الطبقة المظلومة تنتفض وتحدث تغييراً وتطوراً في إيران في صالح هذه الطبقة بعد ذلك.

ومع ذهاب رضا خان أصبح هناك متنفساً، فأعلن رجال الدين مرة ثانية عن نشاطهم، الأهم من كل هذا أن المرجعية كانت قد عادت إلى إيران واستأنفت قم نشاطها، وتمكنت من الاستفادة من الإمكانيات الجديدة الموجودة بين جيل الشباب والتي لم تستطع الحكومة البهلوية الاستفادة منها، وكان المثقفون غير الدينيين أيضاً قد عجزوا إلى حد كبير عن استغلال هذه الإمكانيات.

وقد أدى فشل البرامج الإصلاحية الغربية إلى تبلور نوع من الحركة المنادية بالعودة إلى الذات التي كان يتولى زعامتها أكثر طبقات المجتمع تقليدية وهم رجال الدين، وفي هذه الفترة تواءمت المرجعية وإلى حد كبير مع هذه الأوضاع. فرجال الدين هم الذين كانوا حلقة الوصل بين المرجعية والشعب ولعبوا دوراً أساسياً في هذا الصدد.

ومع انتصار الثورة الإسلامية فإن المرجعية التي كانت قد عملت على مدى 37 عاماً على استعادة مكانتها حصلت على هذه المكانة بدعم الشعب الذي تجاوز الحكومة البهلوية والتيارات التابعة لها، ومن المؤكد أنه مع طرح وجهات نظر جديدة ظهرت التحديات الجديدة التي لازلنا حتى اليوم نعمل للخلاص منها.

### مكانة المرجعية بعد الثورة الإسلامية:

تكمن مشروعية المرجعية في كونها نيابة عن إمام الزمان ولم يحدث تغيير يذكر في هذا الأمر بعد الثورة.

والواقع أن كل الواجبات والمهام التي كان ينهض بها المجتهد قبل الثورة من الممكن تصورها في المجتهدين الحاليين، ومن المؤكد أنه على صعيد السلطة السياسية حدث تطور أساسي مع بداية طرح نظرية ولاية الفقيه حيث تقرر أن تصبح السلطة السياسية تحت إمرة مجتهد خاص، وقد كانت هذه السلطة قبل وقوع الثورة تحت إمرة السلطان أو الشاه، ومن المتوقع أن يحدث هذا الأمر تغييراً جذرياً في موضوع المرجعية.

إن الأمر المهم من وجهة نظر قاعدة المرجعية في المجتمع الشيعي، هو تعريف وتوضيح المشروعية التي طبقاً للتوجيهات الفقهية القديمة تم توزيعها بشكل عام بين كبار المجتهدين، وفي هذا التعريف لم يسلب منها امتلاك السلطة السياسية التي فيها جزء اقتصادي وهو جمع سهم الإمام، بل أصبح ينفذ فقط على أساس المبدأ الذي كان موجوداً في القضاء، أي عندما

يصدر قاض حكماً فليس من حق قاض آخر إصدار حكم في نفس القضية. فالولاية السياسية تكون من حق المجهد الذي يعاون الحكومة ويكون مشغولاً بالحكم، ومع هذا فإن الفصل بين المرجعية الولائية والمرجعية الأساسية هو شديد الأهمية بالنسبة للكثيرين، وهو في اعتقاد هؤلاء الأفراد يشبه الفصل السابق بين العرف والشرع أو بين رجل الدين والسلطان.

المرجعية بعد الثورة شهدت نماذج جديدة وتبلورت هذه النماذج في المقام الأول في الإمام الخميني الذي كان مجال رؤيته الفقهية أكثر رحابة مما كان في الماضي، وعندما كتب إلى أحد الفقهاء أن هذا الأسلوب في التفكير لا يكفي حتى لإدارة قرية كان يقصد أنه حتى تبقى المرجعية في ساحة إدارة الدولة فمن الضروري أن تعمل على تطوير أفاقها الفكرية، وهذا الأمر من أكثر الأشياء بدهاة والذي يجب الاعتراف به.

ويجب التأكيد على أنه بالرغم من أن الولاية السياسية قد انفصلت إلى حد ما عن المرجعية، لكن على أية حال، لا زال هذا الفكر قائماً وبقوة في بنية النظام الفقهي، ومفاده أنه يجب على المرجعية العامة أن تجيب على الكثير من النقاط المتعلقة بأداء الحكومة والتي تحتاج إلى استنباط فقهي، ففي الماضي كانت المرجعية تقتصر فقط على نقد قرارات مجلس الشورى الوطني، لكنها لم تكن ترى أنه لزاماً عليها أن تقدم البديل لهذه القرارات، وفي الوقت الحاضر يدور كثير من الأسئلة الفقهية إلى حد ما حول إدارة شؤون الدولة.

ويجب القول أن الشعور باحتياج النظام إلى وجهات النظر الفقهية يتلاشى يوماً بعد يوم والسبب في هذا هو عدم التوافق بين الخطوات التنفيذية التي تتخذها الحكومة وبين القوانين الفقهية المدروسة في المحافل العلمية، وهذا الاختلاف سببه الظروف التي تبلورت على إثر الهوة الكائنة بين العرف والشرع في العصر البهلوي، والواقع أن تخلف الفقه عن مواكبة القضايا المعاصرة وذلك على مدى فترة طويلة قد زاد من اتساع هذه الهوة، كذلك أيضاً ساهم في اتساع هذه الهوة الاعتماد على العرف والتوجه الجمهوري في الحكومة والذي كان يتزايد يوماً بعد يوم.

النقطة الجديرة بالملاحظة الآن هي أن كبار مراجع التقليد يكتفون بالمباحث التقليدية، علاوة على رد فعلهم إزاء بعض الرؤى الإصلاحية، والذي يجعلهم يعودون إلى الوراء ولا يعيدون النظر فيما هو قائم.

### **التحديات التي تواجه المرجعية الشيعية داخل إيران:**

من المسائل الهامة بالنسبة لفكرة المرجعية ارتباطها بالولاية والزعامة، وقد دار الحديث حولها قبل هذا، ولم تكن هذه المسألة مطروحة قبل الثورة، لأنه في ذلك الوقت كان يتم اعتبار حكومة الشاه حكومة غاصبة، وبالنسبة للمتدينين فإن المشروعية تتأتى فقط من المراجع الدينية، لكن في الوقت الراهن ليس مطروحاً إطلاقاً اللقب السابق (الاعتصاب) على حكومة يديرها جماعة من رجال الدين، في مثل هذه الظروف ما العلاقة التي من الممكن أن تنشأ بين المرجعية والولاية؟

إن توافق ومسايرة رجال الدين للحكومة ليس بدرجة واحدة، فأحياناً يتبنى البعض موقفاً نقدياً، لكن هذا الاختلاف ليس له كبير أهمية، والمهم

أيضاً أنه لا توجد أي نظرية لترسيم هذه الحدود، ولا تتجاوب النظريات السابقة مع هذه المسائل، وهي على الأكثر تحدد بعض حالات الاختلاف في الاتجاهات والنظريات حول القضايا الدينية أو المذهبية بين ولي الفقيه وبعض المراجع، حتى أن الأشخاص الذين لهم ولاء لهذه الحكومة ليست لهم نظرية محددة.

هل من الممكن أن تتحول المراجع الدينية إلى مراجع علمية، وأن تخرج من دائرة ولي أمر المسلمين؟ هذه المسألة من الصعوبة إبداء الرأي فيها، لكن مما لا شك فيه أنه حتى لو أمكن حدوث هذا الأمر داخل البلاد - وهو احتمال ضعيف - لا يمكن أن يتحقق بين الشيعة الذين يعيشون في أقاليم خارج البلاد.

السؤال المثير للجدل على صعيد الحوزة يتعلق بدور المرجعية في إدارة الحوزة في الظروف الراهنة، في الواقع هناك نقطة هامة هي أن دخل المرجع الذي يستطيع إلي حد ما إدارة حوزة بهذه السعة ومساعدتها في النمو والتطور ليس كافياً، علاوة على أن قدرة المرجعية الإدارية على تنفيذ المهام التعليمية والإدارية ليست جديرة بالاهتمام. بالإضافة إلى ذلك فإن تعدد المراجع يحول دون المركزية في التعليم والتربية، الأمر الذي يعتبر ضرورياً جداً ولا يمكن اجتنابه في الظروف الحالية.

كل هذه القضايا أدت إلى خلق مركزية إدارية في الحوزة العلمية وإنشاء ممثلات لتأدية الخدمات للطلبة بدعم من المرجعية الولائية، وكان من الطبيعي أن يخرج هذا الأمر المرجعية من وضعها السابق ويجعلها محدودة.

### **التمويل الحكومي وانحسار نفوذ رجال الدين:**

والواقع أن المراجع كانوا في الماضي المصدر الوحيد لتلبية احتياجات الطلاب من الناحية التعليمية ومن الناحية المالية، لكن اليوم أصبحت المبالغ التي تنفق على قسم الإدارة وقسم الخدمات بالحوزة ومن بينها التأمين على الطلاب وسائر الأقسام الأخرى تعادل عشرات أضعاف المبالغ التي كان المراجع يدفعونها كمنحة شهرية للطلاب، وقد أدت هذه المسألة بشكل طبيعي إلى خفض نفوذ مراجع التقليد في الحوزة الذين هم أصلاً جزء من نفوذها العام بين المؤمنين والمجتمع الشيعي.

علاوة على أنه يوجد العديد من المؤسسات العلمية -البحثية في قم لا تقوم على تمويل المراجع، بل إنها ترتبط بشكل ما بالأجهزة الحكومية المختلفة، بناءً على هذا، من الآن فصاعداً لن يتمكن المراجع من أعمال نفوذهم في مؤسسة الحوزة بشكل كامل.

### **جيل الشباب:**

ومن التحديات الأخرى التي تواجه المرجعية ظهور طبقة من رجال الدين الشباب الذين لا يعرف كثير منهم الأساليب التقليدية، هؤلاء الأفراد الذين قد أتموا بعض الدراسات الجامعية على الرغم من وفائهم لمجتمع رجال الدين ونظام الحوزة، يفكرون في تطويرها. هؤلاء نفر من الطلاب كتبوا رسالة إلى زعيم الثورة من أجل التطوير، واعتبروا أن النظام الفعلي

الراصد



للحوزة بشكل أعم من جهاز المرجعية أو الإدارة التي يجب أن تتم بحذر شديد، لا يمكن أن يكون مليباً لهذا الإحساس.

ويعتقد الكثير أن هذا الجيل التالي الذي سيدخل هذه الساحة بشكل أكثر جدية هو من العوامل الهامة للتطور في الحوزة، في حين أن المرجعية بالنظر إلى ظروفها التقليدية وبالنظر للبنية التقليدية التي قلما تلين إزاء وجهات النظر المختلفة لا يمكن أن تقبل هذا التوجه.

من المؤكد أنه يوجد بين المراجع أشخاص لهم تاريخ مضيء بسبب نشاطهم الثقافي العام، لكن حتى هؤلاء أيضاً عندما يدخلون في قالب المرجعية، ينسون نشاطهم السابق ولا يذكرونه.

إلى جانب هؤلاء الشباب الذين توجهوا إلى البحث في الفقه وسائر العلوم الدينية، يجب الإشارة إلى الفقهاء العظام الذين نفضوا أيديهم من الضجة السياسية واتجهوا إلى تحديث الفقه إلى حد ما، وهؤلاء الفقهاء لا يجب أن يطلق عليهم محدثون، بل إنهم يقومون بالاستنباط في المواضيع الواقعة خارج الفقه المتداول، وتحظى آراء هذا النوع من المراجع بمكانة خاصة بين الجيل الجديد، وإذا لم يخرج هؤلاء المراجع عن حد الاعتدال ويتحركوا بشكل أكثر هدوءاً ودقة في إطار الفقه التقليدي، فمن المحتمل أن يحصلوا على مكانة أفضل في المستقبل القريب.

إن التوقعات الجديدة التي ينتظرها مجتمع الشباب من المرجعية لا تتناسب مع جهود المرجعية في إطار القوالب القديمة التي تحافظ على القوى التقليدية والأشخاص الذين هم فوق سن الأربعين، هذا العمل يحتاج إلى التخطيط الجديد بالاستفادة من الفرص المتاحة في هذا الزمان، وهناك إمكانية لطرحها وهي ليست أمنية بعيدة عن التحقيق، لكنها في المقام الأول تحتاج إلى مرونة.

### تسهيل الفتاوى:

يستغل البعض من مراجع التقليد نفوذه بين مواطنيه، ويحدث تسهلاً في فتاواهم الجديدة لزيادة الأتباع.

إن مسألة تقليد الأعلام هي من الصعوبات التي قلما تم التغلب عليها بسبب 100% في العصور الماضية، حتى في عصرنا، من المؤكد أنه عندما يزداد عدد المراجع، ويرون أنهم الأعلام، يتضح مدى الفوضى التي تحدث، وربما تمكنت شهادة العدول من العلماء من حل هذه المشكلة.

من المؤكد أن هناك أشخاصاً مثل المرحوم آية الله المرعشي لم يكونوا يؤمنون بمبدأ تقليد الأعلام، لكن الآخرين وبشكل خاص الذين يعتبرون أنفسهم آية الله العظمى - أي الأكبر من الآخرين - يخلقون مشكلة صعبة لحل مسألة الاجتهاد والتقليد بشكل نهائي، وفي هذه الأثناء لم تتمكن عملية التقسيم في الاجتهاد من إحراز أي نجاح. بالإضافة إلى أن هذا الأمر هو مصدر كثير من الصعوبات التي تؤدي إلى عدم استقرار الوضع الراهن.

إن المواجهة غير المباشرة من جانب بعض العائلات التي تتمتع بنفوذ تقليدي ملحوظ على الرغم من أنها لا يمكن أن تصل إلى نوع المعارضة السياسية المنظمة للحكومة مع النظام الولائي هي الأمر الذي يخلق العديد

من الصعوبات المحتملة، وقد اتخذ كثير من هذه العائلات موقفاً ضد ولاية آية الله منتظري، لكن فيما بعد عزل آية الله منتظري، قامت أسرته -على اعتبار أنها أسرة أحد المراجع- مستفيدة من نفس الأدوات التي كانت لها فيما مضى بمواجهة ضد النظام. من المؤكد أن هذه المعارضة تختلف عن معارضة بعض العائلات الأخرى التقليدية، ولهذا السبب لم يشهد أي نوع من التضامن فيما بينهم.

### **تحديات المرجعية في العالم الشيعي والعلاقات الدولية:**

يرجع أحد التحديات الأساسية إلى الحدود الجغرافية-السياسية الكائنة، وعلى الرغم من أنها لا تمثل صعوبة خاصة للمرجعية الدينية في مجال وظائفها التقليدية، لكنها تعد مانعاً كبيراً في العلاقة بين المرجعية الولائية والزعامة.

من الواضح أن الشيعة يعيشون في أنحاء العالم كأقليات، وليست لهم القدرة على ممارسة نفوذ سياسي في تلك البلاد التي يقيمون فيها. بناءً على هذا يتوجهون نحو الأشخاص القريبين منهم، ومن ثم يستطيعون حل مشكلاتهم.

وحتى لو كان هذا المقلد متبعاً للمرجعية الولائية الإيرانية، فإنه يجب عليه أن يرجع إلى ممثليها في الدولة، ومن المؤكد أن كثيرين يفضلون هذا الخيار، وتتميز لبنان بشكل أساسي بهذه السمة.

هناك مشكلة أخرى وهي الاختلاف العرقي بين الشيعة من ناحية، ومراجع التقليد من ناحية أخرى، وبالنظر إلى التاريخ السياسي للحكومات، التي تعاقبت على حكم إيران والعراق، فقد كانت سبباً في نشوب الصراعات بينهم، وقد تصاعدت حدة هذه الأزمة في عهد الشاه وزعامة حزب البعث.

ومن المؤكد أنه لم يكن هناك أي نزاع أو تنافس بين قم والنجف، لكن الدعايا التي كان يروجها حزب البعث وسلوكياته في التعامل مع المرجعية وتقسيم الشيعة إلى عرب وعجم كان له تأثيره البالغ على مسألة المرجعية، فقد حاول العراق أن يختار مرجعاً عربياً للشيعة، وفي المستقبل ستكون هذه المسألة مشكلة صعبة. وسيزيد من حدة هذه المشكلة انتشار الدعايا التي تروج للأفكار القومية، ومع هذا فإن التعاطف الموجود بين الشيعة على اعتبار أنهم أقلية بالنسبة لإجمالي العالم الإسلامي من الممكن أن يلعب دوراً مهماً في خلق التحالف والتوافق بين الشيعة العرب والعجم.

### **الأميركان يعقدون الأمل على الشيعة:**

إن طرح مسألة العراق كقضية دولية ووقوعها في بؤرة القضايا السياسية العالمية سيجر قدم المرجعية، وربما لم يحدث في أي وقت أن تحدثت وسائل الإعلام الغربية عن المرجعية الشيعية بهذا الشكل الذي نشاهده الآن ولا يجب إغفال أن مجمل القضايا المرتبطة بأهل السنة المناهضين للولايات المتحدة قد خلقت تصوراً مفاده أن الشيعة كانوا على مدى العقد الماضي يتحركون بشكل أكثر هدوءاً، وأن هذا الأمر قد يجعل الأميركيين يعقدون الأمل على الشيعة. ومن الطبيعي أن يقيم الأميركيون

هذه القضايا في إطار مصالحهم القومية وأن يحاولوا الوصول إلى نقطة يلتقي فيها السنة والشيعة حتى يحصلوا على الامتيازات التي يسعون لها.

### تناقض المرجعية في العراق:

وربما كان هذا هو السيناريو المحتمل، فقد قبل سيد عبد المجيد الخوئي وعدد آخر من صغار زعماء الشيعة المقيمين في لندن التحالف بشكل ما مع الولايات المتحدة. ومن المؤكد أنه مع اغتيال الخوئي فقد ذهب أمل الولايات المتحدة وبريطانيا مع أدراج الرياح، ولكن لا زال الأمريكيون في العراق عاجزين عن التعلق بقشة.

لكن ثمة نقطة إيجابية في صالح الأمريكيين، فلم يتم مراجع التقليد في النجف أو العائلات الموجودة في العتبات المقدسة بأية إجراءات معارضة لهم.

وبهذا الشكل أصبحت المرجعية الدينية في العراق في مأزق، فأمامها من ناحية، تجربة مراجع التقليد على مدى المائة عام الأخيرة الذين قاوموا الاعتداء الأجنبي، ومن ناحية أخرى، هناك الخوف من العودة إلى حكومة البعث "التي من المؤكد أنها أصبحت أثراً بعيداً، ولكنها بالنسبة للعراقيين تمثل كابوساً" وكذلك أيضاً فإن عدم وجود الثقة في تشكيل حكومة شيعية قد هيا السبيل لبديل آخر. إن هذه القضية ترجع إلى نظرتهم إلى القضايا الدولية ويتوقف على مدى فهمهم للعالم الراهن وعلاقاتهم القائمة، وماهية المكانة التي يريدونها لأنفسهم وسط هذا الخصم.

### الظروف الدولية المهيئة للمد الشيعي:

ولا يجب إغفال أن التشيع يعيش في الظروف الراهنة مرحلة ثرية إذ لم تتوافر له مثل هذه الفرصة قبل ذلك، والواقع أنه بعد هجوم الولايات المتحدة على تنظيم القاعدة والقيود التي أصبحت مفروضة على الحركة الوهابية والدعايا السعودية في العالم الإسلامي، وكذلك أيضاً الشعبية التي حققها حزب الله بالنسبة للتشيع، قد خلقت المجالات المناسبة لانتشار المد الدعائي الشيعي. كما أن المسألة العراقية تمثل هي الأخرى فرصة لإظهار مدى ما يتحملة الشيعة من ظلم ومعاناة، ولأن تتعرف شعوب العالم على المرجعية الشيعية وعادات وتقاليد المذاهب.

هل سيستغل الأمريكيون هذه الفرصة لبت الفرقة بين الشيعة والسنة؟ وإذا كان الأمر كذلك فما هو الحل حتى يمكن استغلال هذه الفرصة في نشر المذهب الشيعي والحيلولة دون وقوع نزاع شيعي سني؟ وقد تبلورت تجارب مفيدة جداً بعد الثورة الإسلامية في خلق الوحدة فهل سيتم الاستفادة من هذه التجارب؟

إننا في العالم المعاصر لا نشاهد فقط صراعاً بين الحضارات، بل إننا نشاهد أيضاً صراعاً بين الأديان والمذاهب، وستترك هذه الأزمة إن عاجلاً أو آجلاً عواقب على العالم. لكن رسالة المرجعية الشيعية تتطلب ألا نقف عند حد الخلافات بل يجب أن نعمل على تفعيل العلاقات الإيجابية التي تؤدي في الوقت نفسه إلى شعية أكثر للشيعة ورواج أفضل عن طريق الآليات الثقافية.



## خميني جديد: الحفيد مثل الجد

هناك ساكن جديد للقصر الفخم ببغداد الذي كان ذات يوم منزلاً لعزت إبراهيم أحد أتباع صدام حسين المقرين، إنه حسين موسوي الخميني أحد الملالي متوسطي المكانة، 45 عاماً، وقد قدم حسين إلى بغداد قبل أسبوعين فقط، ومنذ ذلك الحين صار الصحافيون الغربيون يصطفون صفوفاً لكي يحصلوا على مقابلة مع القادم الجديد الذي قال إنه قدم إلى بغداد ليستجدي الولايات المتحدة كي "تحرر" إيران بالقوة إن لزم الأمر.

بالطبع، هناك في إيران أعداد كبيرة من الملالي، ووفقاً لآخر إحصاء نشر عام 1988 فإن هناك نحو 300 ألف من الملالي في الجمهورية الإسلامية، مما يجعل إيران أكثر مجتمع يعج برجال الدين في التاريخ المعاصر بعد الكبت في ظل الدالاي لاما. والملالي الإيرانيون يوجدون بوفرة، بكل شكل وحجم، ويعبرون عن العديد من الآراء المختلفة التي توجد في المجتمع العربي.

إذن لماذا جذب رجل الدين المحدد هذا الانتباه؟

الإجابة هي أن حسين الخميني هو حفيد الراحل آية الله روح الله موسوي خميني الذي بصعوده على موجة الثورة عام 1978-1979 برز بوصفه رجل الدين الأول الذي يحكم إيران.

لقد أظهر آية الله الخميني استيلاءه على السلطة كحدث يمثل "إحياء الإسلام"، وذلك من بين دعاوى أخرى عديدة، لكن حفيده قال إن إيران اليوم هي بمثابة سجن كبير وأن ثورة جده لم تجلب سوى "الماسي" للشعب الإيراني.

في مقابلة مع صحيفة (الغارديان) اللندنية دعا حسين خميني الولايات المتحدة لإرسال قواتها لتحرير إيران، وفي مقابلة أخرى قال لصحيفة (جيروسليم بوست) إن الولايات المتحدة كانت "جالبة للحرية في العالم المعاصر" وبوصفها هذا فإن عليها واجباً أخلاقياً بـ "حماية الشعب الإيراني الذي يتعرض للمعاناة" بنفس القدر الذي أنقذت به شعوب أفغانستان والعراق.

وقد استقبلت ملاحظات حسين خميني بخليط من الصدمة والفرع في الغرب، لكن، نظر إليها في إيران وفقاً لفلسفة آية الله الخميني.

في الثمانينات قضيت أربع سنوات أعمل على السيرة الذاتية للخميني.

هناك ملمحان أساسيان في شخصية خميني جذبا انتباهي.

**الأول:** هو رفضه لمفهوم الوطنية، فقد زعمت أسرته أن له دماً عربياً ممتداً إلى موسى بن جعفر، الإمام السابع عند الشيعة الإثني عشرية.

جزء من العائلة أمضى عشرات السنين في كشمير ومن ثم فإن الاسم العائلي الأصلي للخميني هو "هندي" (غير روح الله الخميني اسمه العائلي عام 1930، لكن شقيقه الأصغر احتفظ به).

<sup>1</sup> ( ) الشرق الأوسط 15/8/2003

عندما وطأت قدما آية الله الخميني مطار مهر باد في طهران, بعد 16 عاماً في المنفى في تركيا والعراق وفرنسا, في فبراير 1979 سألته مراسل صحافي فرنسي كان قد صحبه على متن طائرة الخطوط الفرنسية عن شعوره عند عودته للوطن؟ أجاب روح الله قائلاً "لا شيء".

بالنسبة للخميني فإن إيران ليست سوى قطعة أرض, أما ما يهيمه فهو ما إذا كان سيستطيع أن يحكمها أم لا.

منذ أن ذهب روح الله الخميني إلى المنفى عام 1964 ظل يسعى لكسب الدعم الأجنبي لحملته ضد الشاه, وفي عام 1965 كتب إلى الدكتور المصري جمال عبد الناصر يطلب منه تزويده بالمال والسلاح لـ "تحرير إيران", وفيما بعد بعث بابنه الأكبر مصطفى, والد حسين إلى لبنان لإقامة صلة مع الفلسطينيين هناك, وقد أنشأ مصطفى علاقة مع ياسر عرفات زعيم منظمة التحرير الفلسطينية الذي درب وسلح العشرات من رجال حرب العصابات المعادية للشاه.

وفي عام 1977 أرسل الخميني ابنه الثاني أحمد إلى ليبيا سعياً وراء المال والدعم من العقيد معمر القذافي, وفي نفس العام أقام صلة مع الاستخبارات الفرنسية من خلال عميل تنكر في شخصية صحافي.

وحينما انتقل روح الله الخميني إلى باريس التقى سراً باثنين من المبعوثين الأميركيين. وفي آخر أطوار الثورة لعب روح الله الخميني الورقة الأميركية ببراعة, وقد ضمت الحكومة الأولى التي ترأس مجلس وزرائها مهدي بازرجان خمسة من حاملي الجنسية الأميركية, أما الرجلان اللذان كلفهما بإنشاء الحرس الجمهوري الإسلامي, إبراهيم يازدي ومصطفى تشامران, فكلاهما حاصل على الجنسية الأميركية, في ذلك الوقت (تخلى يازدي عن جنسيته الأميركية).

لم يكن روح الله الخميني يمانع في تدخل أي قوة أو منظمة في إيران ما دامت تناسب طموحاته ولم يتبن روح الله الخميني اللهجة المعادية للأميركيين حتى نهاية عام 1970 عندما وعي أنه سيكتسح من جانب اليسار الراديكالي.

أما الملمح **الثاني** من شخصية روح الله الخميني فهو إيمانه بأن الغايات تبرر الوسائل.

ففي عام 1970 أقام تحالفاً مع تيمور بختيار وهو جنرال سابق هارب كان في وقت من الأوقات رئيساً لجهاز السافاك, الشرطة السرية للشاه, ودكتور رادمانيش وهو عميل لجهاز (كي جي بي) كان يقود حزب تودا الشيوعي في المنفى. وقد أظهر "الحلف الثلاثي" الذي تم التفاوض حوله في النجف أن روح الله الخميني كان مستعداً للتحالف مع الشيطان من أجل الوصول إلى أهدافه.

وفيما بعد وسع تحالفه لضم منظمة مجاهدي خلق الإرهابية ومنظمات فدائي الشعب الماركسية-اللينينية. ومنذ عام 1977 وما تلاه أمر بحرق دور السينما والمكتبات ومدارس الطالبات والمقاهي والمطاعم وغيرها من "أماكن الفحشاء" في إيران لتصعيد الإرهاب.

في إحدى الحوادث في سينما ريكس في عبادان احترق 400 شخص  
أحياء بعد أن أشعل الخمينيون النار وأغلقوا المنافذ.

وبعد أن تسلّم السلطة أمر بالإعدامات الجماعية التي كثيراً ما كانت  
تتم بعد محاكمات صورية. ومزق روح الله الخميني الشعار الوطني الإيراني  
مع أنه كان يحمل رمز علي بن أبي طالب أول أئمة الشيعة واستبدله بشعار  
يشبه الحرف أوميقا اليوناني الذي هو من علامات الجمعيات السرية  
الفيثاغورية. إن الغاية دائماً تبرر الوسائل، والغاية بالنسبة للخميني كانت  
هي تأسيس حكمه الطغياني والمحافظة عليه.

ولتمكين قاعدته في إيران استورد روح الله الخميني آلاف المتشددين  
العرب من لبنان وإيران ومنحهم هويات تجنّس إيرانية، وكان هؤلاء  
الإيرانيون الجدد مستعدين للكذب والخداع والقتل لحماية نظام أعطاهم  
حياة جديدة ومنافع جديدة.

والآن فلنعد إلى الخميني الأصغر: إن حسين يتصرف مثل جده، وهو لا  
يهتم إذا كان سيعيش في إيران أو العراق الذي قضى فيه 14 عاماً من  
طفولته وشبابه المبكر. لقد عاش في إيران في فيلا كانت تتبع لأحد وزراء  
الشاه السابقين، غلام رضا كيامبور. وفي بغداد يعيش في قصر كان منزلاً  
لأحد كبار مساعدي صدام، لقد كان روح الله الخميني أيضاً يعيش في أنواع  
مختلفة من المساكن المصادرة وهو مثال حذا حذوه كل أفراد عشيرته  
الممتدة.

إن حسين، مثل جده، يدعو القوى الأجنبية خصوصاً الولايات المتحدة لـ  
"تحرير إيران"، ومن ثم وضعه في السلطة.

لكن الإيرانيين تعلموا من المأساة على امتداد 25 عاماً، إنهم يدركون  
أن الحلول لمشاكل إيران يجب أن تأتي من داخل إيران، وهم يعلمون أن  
الغاية لا تبرر الوسيلة لكنها تتحدد بها.

وبعيداً عن حسين الخميني وسكان العواصم الكبرى (الكوزموبوليتيين)  
أمثاله فليس ثمة إيراني يود أن يرى بلاده يغزوها الأميركيون أو أي جيش  
آخر حتى لو كان ذلك يعني التخلص من نظام الطغيان الفاشل. وأهم من  
ذلك ليس هناك إيراني يرغب في خميني آخر، فكارثة واحدة مثل هذه تكفي  
لآلاف السنين.

الراصد



## نقد آراء أبطحي حول ولاية الفقيه

تشن إحدى الصحف الإيرانية المتشددة (الإختيار) هجوماً عنيفاً على مستشار ومساعد الرئيس خاتمي الذي ينتمي إلى تيار آخر، لأنه اعتبر أن نظرية "ولاية الفقيه" المبتدعة لم تكن من أولويات مرشد إيران السابق الخميني، وتدافع هذه الصحيفة من خلال مقال لبرويز إسماعيلي عن هذه النظرية، وتهاجم كل من ينتقدها بل تهاجم أبطحي لأنه قال فقط بأن ولاية الفقيه لم تكن من أولويات الخميني، وهذا يسلط الضوء على بداية حدوث تغيرات جذرية في الفكر السياسي الشيعي المعاصر ولكن بأي اتجاه؟ لا أحد يعلمه.....المحرّر.

أجرى محمد علي أبطحي مستشار رئيس الجمهورية حواراً صحفياً مع إحدى الصحف حول مؤسسة ولاية الفقيه وحدود سلطاتها.

ونظراً لأن سيادته قد عمد في حديثه وفي عرض آرائه إلى عقد مقارنة بينه وبين رؤية الإمام الخميني لولاية الفقيه من جانب، وبسبب الاختلاف الحقيقي بينه وبين الإمام الخميني لصالح الإمام من جانب آخر تلزم الإشارة إلى مقتطفات وأجزاء من كلامه والرد عليها.

**يقول أبطحي:** " إن ما أتذكره عند بداية الثورة أن الإمام الخميني لم يكن مصراً على هذا الأمر، أي أن الدستور الأول الذي كان قد وضع وأصر عليه الإمام لم يكن قد أدرجت فيه " ولاية الفقيه " لتطرح في الاستفتاء، والمؤكد أن ذلك لا يعني أن الإمام كان معارضاً لولاية الفقيه، ولكن أعتقد أنها لم تكن من الالتزامات الأولية القطعية بالنسبة له. إن نظرية ولاية الفقيه المطلقة تتبنى عنصر المصلحة، فإذا كان في شيء ما مصلحة للشعب فلا بد أن يكون هذا الشيء موافقاً للدين ولكن ليس من الضروري أن يطابق الفقه أو أن يتطابق معه "

وقد كان من الأفضل أن يرتوي أصدقاء وأحباب الإمام من نبع كلامه وأحاديثه وفقهه وذلك من أجل رد الإجحاف والظلم الذي نشر حول مؤسس الثورة الإسلامية. ويمكن الرد على حديث أبطحي فيما يلي:

**أ-معروف** أن آخر 10 سنوات من عمر الإمام والتي شهدت تأسيس الجمهورية الإسلامية كانت تمثل نتيجة كفاح نصف قرن على الأقل للإمام، وعلى الأشخاص العاديين - على اختلاف آرائهم - ألا يظهروا آراءهم أو يعلنوها - تجاه الأسس النظرية لفكر الإمام بشأن النظام الإسلامي لأن هذا الفكر يعود أساسه إلى 4 عقود ماضية، أي في بداية الستينات من القرن العشرين في الوقت الذي كان جناب السيد أبطحي يعيش فيه أيام الطفولة، ففي ذلك الوقت كان الإمام الخميني يطرح نظرية " ولاية الفقيه " بوصفها النظرية الرئيسية للحكومة الإسلامية حتى أن حضرته قدّم لنا كتابه العظيم " ولاية الفقيه والحكومة الإسلامية " عندما كان في النجف الأشرف.

(1) ((مختارات إيرانية، العدد 32 - 2003)) نقلاً عن: صحيفة انتخاب (الاختيار) 9/1/2003

واستناداً لهذا، وكذلك لما سوف يرد بعد ذلك بشكل مختصر، فإن إصرار الإمام على ولاية الفقيه - لم يكن موضع اهتمام منه عند قيام الثورة فحسب، ولكن ظهر ذلك بوضوح قبل الثورة بعقود طويلة، وانطلاقاً من هذا يكون نفي الشيء الذي لا نتذكره جيداً والذي لا نبذل الهمة الكافية للتحقق منه، مثل هذا الأمر والسلوك يكون نفيه غير منصف وغير عقلي، فنقول - دون تذكّر أو تحقق - إن ولاية الفقيه لم تكن قطعية بالنسبة للإمام؟!

**ب- السيد أبطحي** لا نعرف من أين وكيف أتى وجاء بقوله وبسلوكه وادعائه القائل بأن الإمام لم يكن مصراً على ولاية الفقيه وهو يعلم جيداً - طالما أن له ذاكرة وحافظة قوية وشابة - أنه وفقاً للوثائق الموجودة بالفعل - وليس الذاكرة - واستناداً عليها فإن المحور الأصلي لمواقف الإمام هو إصراره على تثبيت وترسيخ دور ولاية الفقيه في الجمهورية الإسلامية وذلك على مدار العامين الأول والثاني من عمر الثورة، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن 95% من البحوث والدراسات الفقهية النظرية للإمام في شأن ولاية الفقيه قد كتبها خلال عامي 1978 و 1979 أي في ذروة الثورة الإسلامية.

**ج- يقول السيد أبطحي:** إن تصور ولاية الفقيه من وجهة نظر الإمام كان وليد الساعة، بمعنى أن ذلك قد ارتبط وتزامن مع الثورة وبعدها وهو ما يعني أنها حديثة العهد.

في حين أن الإمام يقول: " إن ولاية الفقيه لا تعد شيئاً استحدثه مجلس الخبراء، بل هي الولاية التي قد وضعها الله تبارك وتعالى والتي خص بها رسوله (صحيفة الإمام ج/10-ص 308).

ويستمر حضرة الإمام في حديثه فيقول مؤكداً على الأمر نفسه: " إن هذا الشكل والتوصيف الذي ورد في الدستور بشأن ولاية الفقيه كان موجوداً منذ الأزل وحتى الآن منذ عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن الأشخاص غير المطلعين على الفقه وغير المطلعين على مجريات الأمور يشوهون الأذهان بهذا الكلام الذي يتحدثونه ". (المرجع السابق - ص 352) كما يقول أيضاً: " إن ولاية الفقيه تعد هبة إلهية للمسلمين منحها الله تبارك وتعالى لهم ". وقد أكد في 8/2/1980 على أن الولي الفقيه هو خليفة الرسول والأئمة حتى يظهر الإمام الغائب. (صحيفة الإمام ج/11-ص 22).

**د- إن حضرة الإمام** مع تأكيده الصريح بأن " أولئك الذين يعددون الصور لولاية الفقيه لا يفهمون ما هو الإسلام " وهو ما جعله يعتبر أن رضا شاه كان أسوأ من أي شخص بالنسبة للإسلام (صحيفة الإمام ج/10-ص 308) ولهذا كان يردد ويقول دوماً: " إلهي نجني من الأصدقاء الجاهلين " (صحيفة الإمام ج/10-ص 221).

إن الغافلين والمنافقين يتحدثون عن " ولاية الفقيه " بتظاهر ورياء وهم يخالفون - في وجوههم - ولاية الفقيه ويعارضونها، من هنا نجد أتباع نظرية " المسجد ملك البابا والسياسة ملك القيصر " نجدهم يعتبرون أن الحكومة الإسلامية خطر عليهم، (المرجع السابق، ص 70).

ولهذا نجد الإمام مصراً على أن يوصي الأمة الإسلامية بأن كلام مثل هؤلاء يخالف الإسلام وأنهم يظنون أنفسهم مفكرين ولا يريدون أن يقبلوا بولاية الفقيه ولهذا لا يجب على المسلمين أن يهتموا بهؤلاء.

والحقيقة أن من يقولون ويلقون الشبهات حول ولاية الفقيه هم الأشخاص الذين " يخافون من رقابة الولي الفقيه في الشؤون المختلفة " .

**هـ-كثيراً ما** كان يحذر وينصح حضرة الإمام أولئك الذين يرفضون ولاية الفقيه من أنهم إذا لم يتبعوها فسوف يمحوون لأن ولاية الفقيه تابعة ونتيجة للإسلام, وربما كانت أخلد وصايا الإمام التي قالها ونصح بها منذ ذلك الوقت هي " أنه طالما ظلت أمور وشؤون الدولة تحت رقابة الولي الفقيه فإن ضرراً لن يلحق بهذه الدولة " (نفس المرجع, ص 221).

**و-فيما يخص** عنصر المصلحة وعلى العكس مما قاله السيد أبطحي فإن " الولي الفقيه " فقط هو الذي يبقى مفتاح المصلحة في يده.

وفي رأي الإمام فإن الولي الفقيه, فضلاً عن أنه لا يقوم بأي عمل من شأنه أن يكون على عكس مصلحة الدولة فإنه أيضاً يسيطر على<sup>(1)</sup> - يتصدى لجميع الأعمال التي تريد الحكومة أن تنجزها وتقوم بها والتي يمكن أن تكون ضد مصلحة الدولة. (نفس المرجع, ص 221) كما أن سلطة وصلاحيه الولي الفقيه بشأن " مصلحة النظام الإسلامي " تصل - عند الإمام - إلى حد أنه يستطيع أن يعتبر الملكية المشروعة للأفراد " غير مشروعة " من باب " مصلحة النظام " .

يقول حضرة الإمام: " حتى الملكية التي احترمها المشرع المقدس والتي نص عليها يستطيع الولي الفقيه أن يعتبرها ملكية محدودة, وأن يجد منها عندما يرى أنها في غير مصلحة المسلمين فيحددها بإطار معين أو أن تصدر عنه فتوى في ذلك " . (نفس المرجع, ص 481).

**ز-وعلى عكس** وجهة نظر السيد أبطحي الذي ادعى وجود إبهامات وغموض بشأن نظريات واعتقادات الإمام حول كيفية ظهور " ولاية الفقيه " في الدستور, يجب القول بأن حضرة الإمام لا يرى أي شيء يضاهاي ولاية الفقيه في أي موضع وذلك إذا ما قورن الدستور الإيراني بالدساتير الغربية.

لقد كان يتحدث سيادته مع " حامد الغار " الكاتب الأمريكي المسلم حول الحكومة في الإسلام فقال له: " إن وجود ولاية الفقيه في الدستور هو ضمان لعدم ظهور الديكتاتورية, وأن أفضل مادة في الدستور هي المادة المرتبطة بولاية الفقيه " .

وما دام الأمر هكذا, فليس معلوماً كيف ولماذا عمد مساعد رئيس الجمهورية إلى التشكيك في عقيدة الإمام بشأن ولاية الفقيه, على الرغم من أن الإمام قد تحدث حول سلطات وصلاحيات " الولي الفقيه " بشكل صريح فقال: " في هذا الدستور (دستور إيران) لو أن هناك موضوعاً فيه نقص ما وله مكانة وقداسة روحية في الإسلام وقصّر بشأنه أولئك الذين عملوا واجتهدوا, لو وجد مثل هذا النقص الذي يتضمنه الدستور فإن ما ورد

(1) هكذا في الأصل .

في الدستور بشأن ولاية الفقيه يعد بعضاً من شؤون ولاية الفقيه وليس كل شؤونها " (نفس المرجع, ص 464).

ولهذا كله, فإن الأثر العظيم الذي ظل محكماً والذي خلفه لنا ذلك الرجل الكبير (الإمام الخميني) هو أن ولاية الفقيه وإدارتها لشؤون الدولة من المبادئ الأولية والبديهية (صحيفة الإمام ج/20-ص 457) وأن " ولاية الفقيه " تطبق على جميع شؤون الأمة والدولة ولا يجب أن يخرج شيء عن إطارها ". (صحيفة الإمام - ج/10 - ص 308).

ح- أخيراً يجب القول بأن الإمام أوصى الأمة بالانتخاب لشؤون الحكومة والمجلس سوى أولئك المخلصين والأوفياء للمادة / 110 من الدستور<sup>(1)</sup>

الراصد

(1) تنص المادة /110 من الدستور على الآتي :

وظائف القائد وصلاحياته :

- 1- وضع السياسات العامة لنظام جمهورية إيران الإسلامية بعد التشاور مع مجمع تشخيص مصلحة النظام .
- 2- الإشراف على حسن إجراء السياسات العامة للنظام .
- 3- إصدار الأمر بإجراء الاستفتاء العام .
- 4- تولي القيادة العامة للقوات المسلحة .
- 5- إعلان حالة الحرب والسلام والتعبئة العامة .
- 6- نصب وعزل وقبول استقالة كل من :  
(أ) فقهاء مجلس صيانة الدستور .  
(ب) أعلى مسؤول في السلطة القضائية .  
(ج) رئيس مؤسسة الإذاعة والتلفزيون في جمهورية إيران الإسلامية .  
(د) رئيس أركان القيادة المشتركة .  
(هـ) القائد العام لقوات حرس الثورة الإسلامية .  
(و) القيادات العليا للقوات المسلحة وقوى الأمن الداخلي .
- 7- البت في الخلافات وتنظيم العلاقة بين السلطات الثلاث .
- 8- حل مشكلات النظام التي لا يمكن حلها بالطرق العادية من خلال مجمع تشخيص مصلحة النظام .
- 9- إصدار قرار تنصيب رئيس الجمهورية بعد انتخابه من قبل الشعب , أما بالنسبة لصلاحيات المرشحين لرئاسة الجمهورية من حيث توافر الشروط المعينة في هذا الدستور فيجب أن تحصل قبل الانتخابات على موافقة مجلس صيانة الدستور وفي الدورة الأولى يجب أن تحصل على موافقة القيادة .
- 10- عزل رئيس الجمهورية مع مراعاة مصالح البلاد وذلك بعد صدور حكم المحكمة العليا بتخلفه عن أداء وظائفه القانونية أو بعد رأي مجلس الشورى الإسلامي بعدم كفاءته السياسية على أساس المادة 89 .
- 11- العفو أو تخفيف عقوبات المحكوم عليهم في إطار المبادئ الإسلامية بعد اقتراح رئيس السلطة القضائية, ويستطيع القائد أن يوكل شخصاً آخر لأداء بعض وظائفه وصلاحياته .

الراصد

## الطفيلي: ورثة الخميني يقفون إلى جانب

الراصد

## سارقي المال العام<sup>(1)</sup>

نشرت صحيفة الشرق الأوسط في عددها الصادر بتاريخ 25/9/2003 مقابلة مع أحد المؤسسين لحزب الله عام 1982 وانتخب عام 1989 كأول أمين عام للحزب واستمر في موقعه حتى عام 1991. وقد كشف فيها صبحي الطفيلي أموراً خطيرة جداً عن حقيقة دور حزب الله حالياً.

والذي جعله يتحدث بهذه الحقائق هو الصراع الداخلي في المذهب الشيعي أولاً، وعدم التبعية الكاملة لإيران وأيضاً هو بدافع الحرص على الشيعة من مغبة السياسات الإيرانية التي بدأت تظهر للناس، وهذا يدخل في قوله تعالى (تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى).

وسوف نورد أهم الحقائق التي كشفها في المقابلة دون تعليق منا.

**\*\*فوجئت بورثة الخميني (حزب الله) يقفون الى جانب سارقي المال العام وناهبي ثروات الدولة والمعتدين على الشعب ضد شعبنا وأمهات الشهداء والفقراء. وذلك بذريعة أن دعم المقاومة لا يجعلهم قادرين على الخوض في المواضيع الاقتصادية والحياتية. وهذا منطوق سخيف، والأسخف منه أن لا مقاومة الآن. فأين نصره الضعيف والمسحوق؟ وللمفارقة أن بعض المسؤولين الإيرانيين - في مواجهة حركتي - وعدوا بأن لديهم مشاريع ستنفذ خلال ستة أشهر وستغير أوضاع المنطقة بشكل كبير، لكن السنوات مرت وهذه المشاريع لم تبصر النور.**

**\*\*لقد بدأت نهاية هذه المقاومة منذ دخلت قيادتها في صفقات كتفاهم يوليو (تموز) 1994 وتفاهم إبريل (نيسان) 1996 الذي أسغح حماية على المستوطنات الإسرائيلية وذلك بموافقة وزير خارجية إيران.**

**\*\*كما أن العمليات الفولكلورية التي تحصل بين حين وآخر لا جدوى منها لأن الإسرائيلي مرتاح، وهل هناك فرق بين الإسرائيلي في مزارع شبعا والـ إسرائيل في الأراضي الفلسطينية المحتلة؟ هذا اعتراف بالاحتلال، أنا أرى أن الخيام (بلدة حدودية لبنانية) هي مثل عكا وحيفا. وما يؤلمني أن المقاومة التي عاهدني شبابها على الموت في سبيل تحرير الأراضي العربية المحتلة، تقف الآن حارس حدود للمستوطنات الإسرائيلية، ومن يحاول القيام بأي عمل ضد الإسرائيليين يلقون القبض عليه وبسام أنواع التعذيب في السجون.**

**\*\*أي سجون؟**

- لقد حدثت أكثر من حالة، وقد سلم الذين قاموا بمحاولاتهم إلى السلطات اللبنانية التي أخضعتهم للتحقيق والتصنيف.

<sup>(1)</sup> ( ) الشرق الأوسط 25/9/2003.

\*وأنا أوجه كلامي إلى أبنائي في المقاومة لأقول لهم أن ما تفعلونه حرام وخدمة للعدو وخيانة للقضية. القوا سلاحكم وارحلوا أو تمردوا وأطلقوا النار على عدوكم ولا تجعلوا أحداً يخدعكم تحت عنوان أي فتوى أو ولاية فقيه، فلا فقيه في الدنيا يأمرني بأن أخدم عدوي. أنا أسف كيف أن المقاومة التي صنعناها بدماء شهدائنا تختطف وتحول إلى خدمة أعدائنا.

\*\*لكن بعد التحول الذي حصل في الموقف من المقاومة وتحول إيران إلى منسق للشؤون الأميركية في المنطقة رأيت أن أخرج عن صمتي.

\*\*إن هناك سياسة في إيران بدأت تبرز بعد رحيل الإمام الخميني، وكان واضحاً أن هذه السياسة ستصطدم بفهمنا للإسلام.

\*\*من يقول في لبنان أن إيران لا تتدخل كاذب. القرار ليس في بيروت وإنما في طهران.

\*\*نعم، حتى خلال ولايتي كان لـ(القيادة) المركزية في إيران موقعها في القرار.

\*\*القرى والمدن الشيعية في جنوب لبنان استقبلت الإسرائيلي بالورود والأرز جراء بعض الممارسات التي قامت بها فصائل فلسطينية.

\*\*حتى أن أحد كبار خطباء الجمعة في العاصمة الإيرانية قال في خطبة صلاة الجمعة أنه لولا إيران لغرقت أميركا في وحل أفغانستان. فالإيرانيون سهلوا للأميركيين دخول أفغانستان وبسهلون بقاءهم الآن. أما القول عن اعتقال سفير سابق هنا أو حديث عن سلاح نووي هناك فهو يدخل من باب السعي الأميركي لتحسين شروط التعاون الإيراني. التشيع يستخدم الآن في إيران لدعم المشروع الأميركي في أفغانستان. ومن هنا أقول لكل الشيعة في العالم أن ما يجري باسمهم لا علاقة له بهم. وهذه أعمال المتضرر الأكبر منها الإسلام والتشيع.

- ولد الشيخ صبحي ملحم الطفيلي في بلدة بريثال (جنوب مدينة بعلبك) في نهاية العام 1947.

- درس الفقه في العراق من أوائل الستينات إلى أواسط السبعينات عندما خرج هرباً من العراق بسبب ملاحقة النظام العراقي له بتهمة الانتماء إلى حزب الدعوة.

- مكث فترة في لبنان وعاد إلى إيران لمتابعة المدرس والتدريس في حوزات قم، حتى انتصار الخمينيين على نظام الشاه حيث شارك في التحركات المناهضة لهذا النظام وتعرض للاستجواب والتوقيف.

- عاد إلى لبنان نهائياً عام 1979 وساهم عام 1982 في تأسيس "حزب الله" وكان أبرز أعضاء مجلس الشورى الذي كان يقود الحزب.

- عام 1989 انتخب كأول أمين عام للحزب واستمر في موقعه حتى العام 1991 عندما خرج من الحزب.

- عام 1997 أطلق "ثورة الجيعان" احتجاجاً على تردي الأوضاع الاقتصادية والحياتية في البقاع. وأنشأ مجلساً للأعيان (يوازي البرلمان) وهُدّد بمنع الوزراء والنواب من زيارة المنطقة.

الراصد



- عام 1998 اعتصم وأنصاره في حوزة دينية تابعة لـ"حزب الله" في بلدة عين بورضاي (جنوب بعلبك)، وانتهى الأمر بمعركة قتل فيها ضابط في الجيش وبعض أنصار الطفيلي، لتبدأ الملاحقة القضائية بحقه.

الراصد

## التجمعات الشيعية في العالم العربي البحرين

### مقدمة

يستحق الوجود الشيعي في العالم العربي، وفي دول الخليج العربي على وجه أخص، أن نفرّد له مساحة كبيرة، وتخصّص له الدراسات والأبحاث، خاصة وأنّ هذا الوجود يكتنّفه الغموض، وتثور حوله التساؤلات، ويتم استغلاله استغلالاً سيئاً من أجل الإساءة إلى أهل السنة وإقصائهم من الحياة السياسية والاجتماعية كما حدث في العراق مؤخراً.

ولعلّ ما جرى في العراق من تضخيم لنسبة الشيعة هناك، والهجوم المتعمد على السنة وتصويرهم بأنهم أنصار صدام، وتحميلهم وزر جرائم صدام حسين قد مهّد لأن يقوم الشيعة وبالتعاون مع الأمريكان بالانقلاب على أهل السنة وتهميشهم، وإعطائهم ما لا يناسب عددهم من المقاعد الوزارية والتواجد في الحكم، كل ذلك كان يتم استناداً إلى أسس خاطئة وتضخيم للوجود الشيعي، وتقليل لعدد السنة هناك، وهو ما جعلنا نخصّص دراسة مستقلة بعنوان "الشيعة والعراق"، تم نشرها في العدد الأول من "الراصد"، تناولت الوجود الشيعي هناك، وأصوله، وفتّدت قضية الأكثرية الشيعية، التي قام البعض برفعها في خيالهم إلى 80%، وأوهموا البسطاء بها، حتى غدت في أنظار الكثيرين كالحقائق المسلم بها.

وفي هذا العدد نفتح ملفاً آخر، نخصّصه لدولة خليجية صغيرة في مساحتها، كبيرة في أحداثها، حيث يلعب الوجود الشيعي في دولة البحرين دوراً خطيراً في رسم الأحداث التي تدور في هذه الجزيرة، فقد لعبت قضية "الأكثرية" الشيعية في البحرين دوراً في أعمال العنف والتخريب التي طالتها من قبل الشيعة، وبلغت حدّ المطالبة بإلغاء النظام الملكي واقتفاء النموذج الإيراني، كل ذلك تم بفعل انتشار مقولة "الأكثرية" وترويجها لأغراض سياسية واضحة، وهو الأمر الذي نحن بصدد مناقشته ودراسته حيث أننا سنتطرق إلى الوجود الشيعي في البحرين وكيفية دخول التشيع إليها، والهيئات والتيارات الشيعية العاملة هناك، وعلاقة هذه التجمعات بإيران، وأثر العلاقات البحرينية الإيرانية على شيعة البحرين، وستشمل سلسلة "التجمعات الشيعية" دولاً خليجية وعربية أخرى كالكويت والسعودية واليمن ولبنان...، وفيها نعرض تواجدهم والاختلاف الذي طرأ على أحوالهم وصعودهم المستمر ونظرتهم إلى بلدانهم.

## لمحة تاريخية:

في قديم الزمان, كان يطلق على البلاد الواقعة على الساحل الغربي للخليج العربي كلها اسم "البحرين", أو بالأحرى المنطقة الواقعة بين مسقط والبصرة, ثم اختزل الاسم, وصار مقصوراً اليوم على تلك الجزيرة الرابضة في قلب الخليج العربي, وقد كانت فيما سبق تسمى "أوال", وهو صنم ليكر بن وائل وأخيه تغلب, فسميت الجزيرة باسم صنم أوال, لأن بني وائل مع عبد قيس كانوا يسكنونها في ذلك الزمان.

وقد كانت البحرين, أي البلاد التي على الساحل من البصرة إلى مسقط مستعمرة فارسية قبل الإسلام وفي السنين الأولى من البعثة النبوية, فقد بسطوا نفوذهم عليها سنة 615م ولكن حكامها كانوا غالباً من أمراء العرب, وكان سكانها من المجوس واليهود والنصارى ومن عرب نجد, وأكثر هؤلاء من عبد قيس ووائل وتميم.

وفي السنة الثامنة للهجرة, أرسل النبي صلى الله عليه وسلم أحد أصحابه الكرام وهو العلاء بن الحضرمي ليدعو أهل هذه البلاد إلى الإسلام, ودخل في دين الله خلق كثير, إلا أنهم ارتدوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم, فانطلق العلاء الحضرمي والجارود بن عبد القيس لتأديب المرتدين وانضم إليهما خالد بن الوليد رضي الله عنه, وعادت بلاد البحرين إلى الإسلام.

وأما هذه الجزيرة فقد دالت للخلفاء الراشدين ثم لبني أمية ومن بعدهم لبني العباس, ولكنها لم تخلص من الاغتصابات, ومن هؤلاء الخوارج وصاحب الزنج والقرامطة وغيرهم.

ونظراً لموقعها المميز، وأهميتها لخطوط الملاحة وانتشار الزراعة وصيد اللؤلؤ، فقد تسابق إليها الفاتحون في قديم الزمان<sup>(1)</sup>.

وفي العصور الحديثة، سيطر العمانيون والبرتغاليون عليها ويعود سبب الوجود الاستعماري الغربي في هذه المنطقة إلى الاتفاقيات المشبوهة التي عقدتها الدولة الصفوية الشيعية مع الدول الاستعمارية وعلى رأسها البرتغال وأسبانيا والمجر والبنديقية من أجل القضاء على الدولة العثمانية، ووقف فتوحاتها في أوروبا، وقد كان عهد الدولة الصفوية بشهادة الجميع هو عهد إدخال قوى الاستعمار في المنطقة حيث مهّدت لها الطريق، وفي نفس الوقت أعاق فتوحات العثمانيين، وشغلتهم عن مهامهم الكبرى<sup>(2)</sup>.

كانت الدولة الصفوية الشيعية التي حكمت إيران بدءاً من سنة 906هـ (1500م) يقلقها أن ترى دولة الخلافة العثمانية منطلقة في فتوحاتها شرقاً وغرباً لنشر الإسلام وتوسيع رقعته، فبدأت بمناوشة العثمانيين واستفزازهم، وتوجيه الطعنات لهم من الخلف، وحياسة المؤامرات، وخاصة في عهد الشاه إسماعيل الصفوي، ونشب القتال بين العثمانيين والصفويين في موقعه جالديران سنة 1514م، وانتهت المعركة بهزيمة نكراء للصفويين، إلا أنها لم تنه الوجود الصفوي، فأخذ الشاه إسماعيل الصفوي يقيم العلاقات مع الدول الغربية من أجل القضاء على العثمانيين، وتمت بينه وبين البوكر، الحاكم البرتغالي في الهند اتفاقية نصّت على أربع نقاط:

1- تصاحب قوة بحرية برتغالية حملة إيران على البحرين والقطيف.  
2- تتعاون البرتغال مع إيران في إخماد حركات "التمرد" في بلوشستان ومكران.

3- تتحد الدولتان في مواجهة الدولة العثمانية.

4- تصرف حكومة إيران (الصفوية) النظر عن جزيرة هرمز، وتوافق على أن يبقى حاكمها تابعاً للبرتغال، وأن لا تتدخل في أمورها الداخلية<sup>(3)</sup>.

ونتيجة عن ذلك أن احتل البرتغاليون البحرين من سنة 1521م إلى سنة 1602م، ثم استولى عليها بعد ذلك الإيرانيون الفرس وحكموها بشكل متقطع حتى سنة 1783 عندما تمكن عرب عتبة من طرد الإيرانيين منها، وعائلة آل خليفة الحاكمة تنحدر من قبيلة عتبة، وقد دخلوا في اتفاقيات حماية مع بريطانيا حتى إعلان الاستقلال سنة 1971<sup>(4)</sup>.

### سكان البحرين:

دأب الشيعة على رفع نسبتهم في جميع البلدان التي يقيمون فيها لأسباب سياسية لا تخفى على أحد، ومن تلك الدول البحرين التي بالغ البعض بالقول بأن الشيعة العرب منهم ذوي الأصول الإيرانية يشكلون 60 إلى 65% من إجمالي السكان!

وقد جاء في تقرير مركز ابن خلدون حول الأقليات لسنة 1993 أن سكان البحرين ينقسمون إلى ثلاث مجموعات:

<sup>1</sup> ( ) أمين الريحاني، ملوك العرب، الجزء الثاني ص 720 وما بعدها. ود. عبد الله الغريب، وجاء دور المجوس ص 301-302

<sup>2</sup> ( ) أبو الحسن علوي عطر جي، الصفويون والدولة العثمانية، ص 48.

العرب الشيعة ونسبتهم 45% من مجموع السكان، والعرب السنة ونسبتهم كذلك 45% أما الإيرانيون 8%، وثلاثهم سنة والثلاثان من الشيعة، وبذلك يصل الشيعة العرب والإيرانيون إلى حوالي 52%، أما السنة العرب والإيرانيون البلوش فنسبتهم 48%<sup>(1)</sup>.

إلا أن تقرير ابن خلدون ذاته الصادر سنة 1999<sup>(2)</sup> - قام برفع نسبة الشيعة في البحرين إلى 70%، وهي نسبة غير واقعية ومنافية للواقع السكاني في البحرين، ولم يذكر التقرير الأسس التي استند عليها لرفع نسبة الشيعة من 52% إلى 70% خلال 6 سنوات، على الرغم من أنه لم يحصل ما يدعو إلى ارتفاع النسبة بهذا الشكل وخلال هذه الفترة القصيرة، سوى ما عزاه التقرير إلى أن الشيعة معظمهم ريفيون يكثر عندهم الإنجاب وتعدد الزوجات. بالرغم من صحة هذا الأمر الذي يتم بدعم وتشجيع القيادات الطائفية مع التكفل بالمصاريف اللازمة وذلك من أموال الخمس! والأمر يدعو للغرابة أيضاً إذا علمنا أن المركز قام بالشيء نفسه عند تناول قضية الشيعة في العراق<sup>(3)</sup>.

وقد نقل د. خالد العزي في كتابه: "الخليج العربي في ماضيه وحاضره" نداءً وجهته صحيفة السياسة الكويتية في 5/12/1971 إلى شعوب وحكومات الدول العربية إلى اتخاذ كافة السبل لردع خطر التسلل الإيراني في الأرض العربية، وقالت الصحيفة بأن المتسلسلين يشكلون طابوراً خامساً ينبغي التقليل من أهميته خاصة بعد احتلال الجزر العربية (الإماراتية)، وصفت خطر التسلل الإيراني بأنه لا يقل خطورة عن التسلل الصهيوني الذي يعتبر أحد أسباب ضياع فلسطين واغتصابها<sup>(4)</sup>، وقبل ذلك كان مجلس الجامعة العربية، وفي دورته الحادية والأربعين 31/3/1964 بحث موضوع الهجرة الأجنبية إلى إمارات الخليج وطلب من الدول المعنية تقييدها والتبصر بالأخطار التي تواجهها<sup>(5)</sup>.

إذاً لا يخفى أن زيادة عدد الشيعة في الخليج عامة والبحرين خاصة كان بسبب الهجرة الإيرانية المتزايدة إلى بلدان الخليج أثناء الحكم البريطاني، في ظل غفلة أهلها وتساهل شيوخ الخليج، بل إن بعض الذين زاروا البحرين أو كتبوا عنها في بدايات هذا القرن يذكرون صراحة أن الوجود الشيعي هو وجود أجنبي، يقول أمين الريحاني في كتابه "ملوك العرب" الصادر سنة 1924 ص 721 ما يلي: وهي (البحرين) على صغرها عامرة بمئتي ألف من العرب والأعاجم من الشرق والغرب، بيد أنها لا تزال عربية الأصل والحكم، عربية اللغة والروح، لأن أكثر سكانها من العرب الأصليين، عرب نجد، وفيهم من المذاهب الإسلامية المالكية والشافعية والحنبلية والجعفرية، أما الجعفريون فهم مثل الهنود يعدون من الأجانب لأنهم إيرانيون أو إيرانيو التبعية.

وقد جاءت نتائج الانتخابات البلدية والنيابية سنة 2002، وحصول الشيعة في الأولى على 23 مقعداً من 50 وعلى 13 مقعداً من أصل 40 مقعداً في الثانية، لتعطي صورة تقريبية عن حجم الشيعة في البحرين، فإذا

<sup>3</sup> ( ) المصدر السابق ص 49.

<sup>4</sup> ( ) وجاء دور المجوس ص 301-302.

<sup>1</sup> ( ) ص 302.

كان حصولهم على أقل من ثلث مقاعد المجلس النيابي بسبب مقاطعة بعض تنظيماتهم للانتخابات يبدو مفهوماً بعض الشيء، فإن حصولهم على أقل من نصف مقاعد البلديات في الانتخابات التي شارك فيها جميع قطاعاتهم تبطل نظرية الأغلبية الكاسحة أو المطلقة.

### العلاقات البحرينية الإيرانية وأثرها على شيعة البحرين

عند الحديث عن علاقات البحرين بإيران وأثرها على شيعة البحرين نقف عند حقيقتين هامتين هما:

1- أن إيران بعد ثورة الخميني سنة 1979 أصبحت قبلة الشيعة في العالم، ووضعت نفسها وصية على الطوائف الشيعية في كل مكان، وكذلك الطوائف الشيعية جعلت من إيران نموذجها وقدوتها، وهذا لا يمنع وجود تيارات وهيئات شيعية تعادي إيران أو لا تعترف بولايتها لأسباب ترجع للتنافس على الزعامة مع الخميني بالدرجة الأولى، وهذا هو أيضاً سبب انشقاق مجاهدي خلق على الثورة الخمينية وغيرها من التيارات والشخصيات الشيعية، ولم تكن المشاعر الشيعية تجاه إيران محصورة بدولة الخميني، إنما كانت الدولة الصفوية التي حكمت إيران بدءاً من سنة 906هـ (1500م) تمارس الدور ذاته.

2- أن الجاليات الشيعية في العالم وفي دول الخليج خاصة تتأثر سلباً وإيجاباً بعلاقات بلدانهم مع إيران، خاصة وأن هذه الجاليات تستخدم من قبل إيران لتنفيذ مخططاتها في هذا البلد أو ذاك.

ولقد كانت العلاقات الإيرانية البحرينية مثلاً للتوتر والشكوك في معظم فتراتهما، بسبب أطماع إيران في هذه الجزيرة واعتبارها جزءاً من أراضيها، وعدم الاعتراف بجوازات السفر التي كانت تصدرها البحرين، واعتبارها إحدى المحافظات الإيرانية... بل واحتسابها من إرث مملكة فارس التي ورثتها إيران اليوم.

ولا يقتصر النهج العدائي هذا على جزيرة البحرين، بل قامت إيران باحتلال ثلاث جزر تتبع دولة الإمارات العربية المتحدة هي طناب الكبرى وطناب الصغرى وأبو موسى، سنة 1971 وسنة 1992، وما زالت إيران تحتلها حتى اليوم وترفض التخلي عنها.

ولعلّ تصريح رئيس وزراء إيران سنة 1944 حاجي ميرزا أغاسي ما يوضح حقيقة النظرة الإيرانية إلى الخليج فيقول: ((إن الشعور السائد لدى جميع الحكومات الفارسية المتعاقبة بأن (الخليج الفارسي) من بداية شط العرب إلى مسقط بجميع جزائره وموانيه بدون استثناء وبدون منازع ينتمي إلى فارس))<sup>(1)</sup>.

الراصد

<sup>(2)</sup> ( ) ص 195.

<sup>(3)</sup> ( ) انظر التفاصيل في بحث "الشيعة والعراق" المنشور في العدد الأول من (الراصد).

<sup>(4)</sup> ( ) ص 243.

<sup>(5)</sup> ( ) الخليج العربي دراسة موجزة ص 61.

وهذا خلاف ما يذكره المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون فيقول: "إن البحرين كانت مرتبطة مصيرياً بالإحساء، فهي لا تبعد أكثر من 24 كم، بينما يتجاوز بعدها عن إيران 200 كم"<sup>(2)</sup>.

وقد حكم الإيرانيون البحرين بشكل متقطع من سنة 1601 إلى سنة 1783 عندما تمكن آل خليفة من طردهم من بلادهم، والحكم الصفوي يشكل مرحلة من مراحل الأطماع الإيرانية في هذه الجزيرة، وقد سارت إيران في عهد البهلويين على المنوال نفسه، فقد كان شاه إيران محمد رضا بهلوي دائم التهديد للبحرين، ويعتبرها جزيرة إيرانية، وقد هدّد بضمها إلى بلاده، إلا أن بريطانيا التي كانت تحتل البحرين آنذاك ساهمت في وقف المخطط الإيراني، مقابل غض الطرف عن استيلاء إيران للجزر الإماراتية الثلاث، إلى أن جاء الاستفتاء الشهير سنة 1971، والذي أيد فيه معظم البحرينيين الاستقلال.

ومع قدوم ثورة الخميني سنة 1979، تبنت إيران مبدأ تصدير الثورة، وهو أن تنشر مذهبها وفكرها بالقوة، واصطدمت بالعراق ودخلت معه في حرب مدمرة استمرت 8 سنوات، وأما دول الخليج العربية فقد نالها من الأذى والتخريب الإيراني الشيء الكثير، وكان الخميني يقول: "إن العرب حكموا المسلمين وكذلك الأتراك وحتى الأكراد، فلماذا لا يحكم الفرس وهم أعمق تاريخاً وحضارة من كل هؤلاء؟"<sup>(2)</sup>.

وفي بداية الثورة الإيرانية انقسم شيعة البحرين إلى قسمين:  
الأول: صغير محافظ، كان يطالب ببعض الإصلاحات وتحسين أوضاع الشيعة.

الآخر: كبير، كان يطالب بالإطاحة بالنظام الملكي وتشكيل جمهورية تسير على النهج الإيراني<sup>(3)</sup>.

ويذكر ريتشارد دكمجيان أن شيعة البحرين بسبب أصلهم الفارسي<sup>(4)</sup> أحسوا بشيء من الغربة في البحرين، وفي نفس الوقت أثروا الاقتراب من إيران، وقد حاول الخميني -خلاقاً لجهود الشاه في ضم البحرين- أن يثور الشيعة للقضاء على آل خليفة، وكانت الأداة الرئيسية "الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين"، وكان من قادتها هادي المدرسي الذي أبعده السلطات البحرينية، وبعد إبعاده اشتغل ببث التطرف وسط شيعة البحرين واتهم بأن له دوراً في محاولة انقلاب سنة 1981<sup>(5)</sup>.

والشيعة في البحرين يفتخرون بأنهم وقفوا مع استقلال البحرين سنة 1971، ويذكرون هذا دليلاً على ولائهم لبلادهم وعدم تبعيتهم لإيران، كما جاء في مقابلة مع المعارض البحريني الشيعي عبد الوهاب حسين<sup>(1)</sup>، إلا أن ذلك الحماس للبقاء مع البحرين، كان المدافع إليه هو الصراع القائم بين رجال المدين الشيعة والشاه، والعداء المتبادل فمن غير المعقول لدى الشيعة آنذاك أن يطالبوا بالحاق البحرين إلى إيران الشاه وهم يسعون في

<sup>1</sup> ( ) وجاء دور المجوس ص 302.

<sup>2</sup> ( ) نقلاً عن كتاب (الخليج العربي دراسة موجزة) ص 51.

<sup>2</sup> ( ) انظر مقال: خطط الشيعة لحكم قطر، الوطن العربي 26/7/2002.

<sup>3</sup> ( ) مجلة مختارات إيرانية، فبراير 2003 ص 91.

الوقت نفسه إلى إزاحته، فقد كان الاستفتاء في أيام الشاه، وقبل قدوم ثورة الخميني بثمان سنوات، وهي الثورة التي رآها الشيعة في مختلف أنحاء العالم النموذج والقدوة، وسرعان ما أثارت هذه الثورة الشجون في نفوس شيعة الخليج، وفي شيعة البحرين على وجه الخصوص وأثارت فيهم الرغبة بالتبعية للوطن الذي صار قبلة لشيعة العالم، وتجسّد ذلك في أعمال العنف والتخريب التي مارسها شيعة الخليج طيلة سنوات الثمانينات وجزءاً من عقد التسعينيات، حيث باتت أعلام إيران وصور قادتها خميني وخامنئي وأعلام حزب الله اللبناني التابع لإيران مشهداً مألوفاً في أنشطة وتظاهرات شيعة البحرين.

وكانت المعارضة الشيعية قد بدأت في تنظيم صفوفها في وقت مبكر، خاصة عقب قيام الثورة الإيرانية سنة 1979 ونشرها لفكرة تصدير الثورة، حيث تشكلت أولى حركات المعارضة الشيعية في البحرين "الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين" في سبتمبر (أيلول) من العام نفسه، ثم تشكلت بعدها كل من "حركة أحرار البحرين الإسلامية" التي تتخذ من لندن مقراً لها، و"حزب الله-البحرين" الذي كانت السلطات البحرينية تنظر إليه بوصفه تنظيمًا سياسياً شيعياً تابعاً لسلسلة تنظيمات أنصار الثورة الإيرانية في الخارج "منظمات حزب الله"<sup>(1)</sup>.

وبعد الأحداث الدامية التي اندلعت في سنوات التسعينات، وكان أشدها سنة 1994 بين الشيعة والسلطات البحرينية، هدأت الأمور سنة 1999 مع استلام الشيخ حمد بن عيسى مقاليد السلطة خلفاً لوالده عيسى بن سلمان.

ودخلت البحرين مرحلة جديدة، فتم تحسين الأوضاع الداخلية والعمو عن المعتقلين السياسيين وإطلاق الحريات، وأخذ الشيعة يستفيدون من الوضع الجديد، ومن ذلك تأسيسهم للجمعيات، وهي تمارس العمل السياسي، حيث لا يسمح في البحرين بتشكيل الأحزاب.

وبالرغم من تبعية الكثير من شيعة البحرين لإيران، إلا أنه جدير بالذكر أن هناك قطاعاً هاماً يرتبط بحكام البحرين ارتباطاً كبيراً، ولا يدينون لإيران.

## المؤسسات الشيعية في البحرين:

### 1- جمعية الوفاق الوطني الإسلامية:

وهي امتداد ووريث لحركة أحرار البحرين المعارضة خارج البحرين، ويرأس الجمعية الشاب علي سلمان ونائبه هو حسن مشيمع، وتعتبر الجمعية التيار الرئيس في أوساط شيعة البحرين، وقد اعتبرت المحرك الأساسي لصدمات 1994-1998 مع السلطة، كما أن الجمعية كانت هي المحرك الرئيس لمقاطعة الانتخابات النيابية سنة 2002 على الرغم من أن البرلمان المنتخب كان دوماً من أبرز مطالبها.

<sup>(4)</sup> ( شيعة البحرين خليط من أصول عربية وفارسية وينحدر معظم العرب من الإحساء، في شرق الجزيرة العربية -المحرر-

<sup>(5)</sup> ( الأصولية في العالم العربي، ص 213 وما بعدها.

<sup>(1)</sup> ( الوطن العربي 6/12/2002.

<sup>(1)</sup> ( شفيق شقير - الجزيرة نت 24/10/2002.



وفي لقاءات صحفية، ينفي رئيس الجمعية وجود علاقة بين الحركة الشعبية في البحرين، وبين النظام القائم في إيران، كما أنه قال في افتتاح المؤتمر الأول للجمعية بأنها تعمل ضمن النظام القائم في البحرين، مما يوحي بولاء شيعة البحرين لدولتهم.

وهذا ينسجم مع تحويل إيران لسياستها الخارجية من تصدير الثورة إلى الانفتاح الثقافي، والذي كان صداه لدى التجمعات الشيعية هو المناداة بالوطنية والحقوق للمواطنين المظلومين من الآخرين!

## 2-جمعية العمل الإسلامي:

تيار شيعي محدود، وتعد امتداداً للجهة الإسلامية لتحرير البحرين، ويرأسها محمد علي المحفوظ، الذي كان قد شنَّ هجوماً على الجمعيات السنّية مثل المنبر والشورى والأصالة واصفاً إياها بأنها تحقق النتائج المرجوة منها، وقد قامت الجمعية بمقاطعة الانتخابات النيابية سنة 2002.

## 3-جمعية الرابطة الإسلامية:

شيعية مقربة من الحكومة، فاز منها عضوان في الانتخابات النيابية الأخيرة.

## 4-جمعية أهل البيت:

شيعية، تم الاحتفال بافتتاح مقرها الجديد في 20/5/2003 في مدينة المحرق، من مسؤوليها عبد الله حيدر ومحمد الفردوسي، ولها موقع (أهل البيت نت).

## 5-جمعية الرسالة الإسلامية:

تتبع خط المدرسي والشيرازي، وقد عقدت في نهاية أكتوبر سنة 2002 المؤتمر النسائي الأول، واتصلت خلاله بهادي المدرسي وهو من مؤسس النشاطات الرسالية في البحرين منذ السبعينات، كما أنها أصدرت بياناً شديداً ضد منظمة مجاهدي خلق لاحتجازهم لفترة من الوقت المرجع الشيعي محمد تقي المدرسي أثناء وجوده في العراق، كما أنها قامت بحملة لجمع التبرعات مع جمعية أهل البيت أثناء الحرب الأمريكية على العراق.

## 6-جمعية التوعية الإسلامية:

يرأسها عبد الوهاب حسين، وتعتبر بمثابة الجناح الثقافي والاجتماعي لجمعية الوفاق، كون هذه الأخيرة أقرب ما تكون إلى حزب سياسي، كانت تعتبر امتداداً لخط "حزب الدعوة" وأغلقتها السلطات سنة 1982.

وإضافة إلى تأسيس الجمعيات وممارستها للعمل السياسي والثقافي والاجتماعي، فإن مظاهر أخرى بارزة تشير إلى ممارسة الشيعة لدور كبير في البحرين، منها:

1-تأسيس وصدور صحيفة الوسط اليومية التي يرأس تحريرها المعارض الشيعي السابق منصور الجمري، وهو نجل رجل الدين المعارض عبد الأمير الجمري.

2-المشاركة الحكومية في المناسبات الشيعية كعاشوراء والمآتم, ودعمها وتسهيل دخول المشاركين فيها من دول أخرى كإيران والعراق وسوريا.

3-عودة المعارضين الشيعة من الخارج, وممارستهم لحياتهم الاعتيادية داخل البحرين, ومنهم الجمري والعلوي وعلي سلمان.

4-القرار الحكومي بتدريس المذهب الشيعي الجعفري في المدارس, وتعيين مدرسين لذلك في مختلف المراحل.

5-تطور العلاقات بين البحرين وبعض الهيئات الشيعية في الخارج كمؤسسة الخوئي في لندن التي استطاعت تنظيم مؤتمر للتقريب بين الشيعة والسنة في البحرين في شهر سبتمبر (أيلول) 2003.

### الانتخابات البلدية والنيابية:

في ظل الأجواء الانفتاحية التي شهدتها البحرين بدءاً من سنة 1999, تم في العام 2002 إجراء انتخابات المجالس البلدية في 9/5/2002 وانتخابات المجلس النيابي في 24/10/2002.

في الانتخابات البلدية حصل السنة على 27 مقعداً من أصل 50, فيما حصل الشيعة على 23 مقعداً.

وفي الانتخابات النيابية التي قاطعها جزء من الشيعة بسبب عدم أخذ الحكومة لبعض اقتراحاتهم ومنها: بعض التعديلات الدستورية التي سلبت السلطة التشريعية صلاحياتها وتعيين مجلس مواز للمجلس المنتخب له نفس الصلاحيات, ومنع الجمعيات من ممارسة العمل السياسي, وهذا المطلب الأخير تراجع عنه ملك البحرين وسمح للجمعيات فيما بعد بطرح مرشحين وممارسة العمل السياسي, حصل السنة على 27 مقعداً من أصل 40, فيما حصل الشيعة على 13 مقعداً, في المجلس المنتخب, أما الشق الثاني من المجلس, وهو المجلس المعين, فقد تمّ تعيين 38 سنيّاً وشيعةً مناصفة, فيم تم تعيين مسيحي وبهودي في المقعدين المتبقين من أصل 40 مقعداً.

وفي الحكومة التي شكلت بعد إجراء الانتخابات النيابية, عين العديد من الشخصيات الشيعية فيها وأبرزها:

1-مجيد العلوي وزيراً للعمل والشؤون الاجتماعية.

2-محمد علي الستري وزيراً لشؤون البلديات, وكان قبلها مديراً للأوقاف الجعفرية.

3-خليل حسن وزيراً للصحة.

4-عبد الحسين ميرزا وهو أول وزير بحريني من أصل إيراني.

## أهم المراجع

- 1-الأصولية في العالم العربي.....ريتشارد دكمجيان.
- 2-وجاء دور المجوس..... د. عبد الله الغريب.
- 3-ويل للعرب: مغزى التقارب الإيراني مع الغرب والعرب.....عبد المنعم شفيق.
- 4-أطلس الإسلام..... د.حسين مؤنس.
- 5-ملوك العرب.....أمين الريحاني.
- 6-الصفويون والدولة العثمانية.....أبو الحسن علوي عطرجي.
- 7-هموم الأقليات.....التقرير السنوي الأول لمركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية  
في مصر سنة 1993.
- 8-الملل والتّحل والأعراق.....التقرير السنوي السادس لمركز ابن خلدون سنة 1999.
- 9-الخليج العربي , دراسة موجزة ..... مكتب الدعاية والنشر والإعلام.
- 10-الخليج العربي في ماضيه وحاضره ..... د. خالد العزّي.

## دوريات ومواقع:

- 1-مجلة مختارات إيرانية.
- 2-مجلة الوطن العربي.
- 3-مجلة النور.
- 4-الوكالة الشيعية للأنباء.
- 5-الجزيرة نت.

